

الجانب الصوتي للوقف

في العربية ولهجاتها

دكتور أحمد طه حسانين سلطان

دكتور أحمد طه حسانين سلطان
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر



الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، خالق الإنسان ، علمه البيان ، والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم ، وأفصح من نطق بلغة الضاد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين .

وبعد :

فالوقف يعد من الدروس المشتركة بين اللغويين والنحويين وعلماء القراءات ، وهو ظاهرة لغوية جديرة بالاهتمام والدراسة والنظر فى عللها وأسبابها ، ذلك لأنها المظهر اللغوى المقابل للوصل ؛ ولأنها ظاهرة أصيلة وقديمة قدم اللغة الإنسانية ، ولا تقل عن الوصل شيوعا فى الاستعمال اللغوى ؛ فأول ما ينطق الإنسان به من اللغة إنما هو عبارة عن أصوات أو مقاطع أو كلمات موقوفة ، وأول ما يتعلمه منها حروف الهجاء والأعداد وكلاهما مبنى على الوقف ، وزيادة على ذلك فإن واضع الخط والرسم قد لاحظ فى وضعه الوقف دون الوصل ؛ لأن « القاعدة العربية أن يكتب اللفظ بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه »[1] .

وقد كان اصطناع الوقف ملائما لدراسة العديد من مسائل اللغة ،

---

(١) ٢١٢/٢ الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٩٧٨ - ١٣٩٨هـ الرابعة

فالقدماء عندما أرادوا ذوق الأصوات للتعرف على مخارجها وصفاتها وأحوالها ، إنما تيسر لهم ذلك فى ظل الوقف ، قال الليث بن المظفر : « كان الخليل إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ، ثم أظهر الحرف يقول : أبْ ، أتْ ، أجْ »[1] ، وقال ابن جنى فى ١/٧ من كتابه سر صناعة الإعراب : « وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتى به ساكنا لا متحركا؛ لأن الحركة تقلق الحرف من موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف التى هى بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ؛ لأن الساكن لا يمكن الابتداء به ، فتقول: اِكْ ، اِقْ ، اِجْ ، وكذلك سائر الحروف » .

يضاف إلى ذلك أن الوقف يسهم فى صنع السلسلة الإيقاعية أو الموسيقى الكلامية بما يصطنعه من الفواصل بين أجزاء الكلام ، فيؤثر تأثيرا كبيرا فى اعتدال نسقه ، وكثيرا ما كان الوقف الحسن مرشدا وهاديا إلى المعنى المقصود ، وكان الوقف القبيح مضللا عنه ، وكذا فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى الخطيب لما قال . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما ـ ووقف ـ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : بئس خطيب القوم أنت ، قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى »[2] ، وهذا

---

(١) ١/٧ مقدمة لسان العرب

(٢) ص ٦ منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا

يدل على أن الوقف الحسن يفهم المعنى المراد ، كما أن إعراب الكلمات ووصلها يؤدى إلى ذلك .

ومع تلك الأهمية لدرس الوقف وعناية السلف بمسائله فى أبواب خاصة أو فى كتب بأكملها ، فقد قلّت عناية الباحثين من المحدثين بتلك الظاهرة ، فلم يخصوها بالبحث والنظر فى كتاب مستقل ، وإنما عرضوا لبعض مسائلها فى ظل دراسة الظواهر الأخرى ، وقد لاحظ أحد رواد علم اللغة فى العصر الحديث وهو الدكتور إبراهيم أنيس ـ يرحمه الله ـ أن الدارسين « يهملون عادة هذا الباب الجليل الشأن ، ويمرون به مروراً ، دون نظر فيه أو تمحيص »(١) ، ولذا فقد خصص لدراسته مساحة لا بأس بها فى كتابه (من أسرار اللغة) ، وعرض لبعض مسائله فى مواضع أخرى من كتبه ، ورغم ذلك فمازال الباب ـ من وجهة نظرنا ـ مفتوحا للدراسة ، ومازالت مسائله محتاجة إلى التفسير ، لاسيما من الناحية الصوتية ، ولذا فقد ركزت فى دراستى هذه « على الجانب الصوتى للوقف فى العربية ولهجاتها » وجعلته عنوانا لها .

وقد غلب على هذه الدراسة المنهج الوصفى التفسيرى حسبما اقتضاه الموضوع .

---

(١) ص ٢٢٠ من أسرار اللغة

وبعد : فالله تعالى أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه ، وأن ينفع به ، كما أطلب منه العون والسداد ، وأرجوه التوفيق ، واستمد منـــه الحول والقوة ، فإنه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليـــه أنيب ، وهو حسبنـــا ونعم الوكيل .

المؤلف

دكتور أحمد طه حسانين سلطان

الفصل الأول

التعريف بالوقف

معنى الوقف :

جاء فى المقاييس لابن فارس « الواو والقاف والفاء أصل واحد يدل على تمكث فى شىء ثم يقاس عليه [1] . والوقف مصدر قولك وقفت الدابة ، ووقفت الكلمة وقفا ، وهذا مجاوز [2] ، فإذا كان لازما قلت : وقفت وقوفا [3] . وأوقف : سكت ، وعنه أمسك وأقلع ، وليس فى فصيح الكلام أوقف إلا لهذا المعنى [4] ، وحكى الشيبانى : كلمتهم ثم أوقفت عنهم [5] ، أى سكت .

ومن ذلك ندرك أن معانى الوقف فى الوضع اللغوى تدور حول المكث والسكوت ، والإمساك ، والإقلاع ، وقد تندرج جميعها تحت قولهم :

(١) ٦/١٣٥ المقاييس
(٢) مجاوز أى متعد
(٣) ٦/٤٨٩٨ لسان العرب
(٤) ٣/٢٠٥ القاموس المحيط
(٥) ٣/١٥٦ الجمهرة لابن دريد

الوقف فى اللغة الحبس ، أو الكف عن الفعل والقول[1] .

وللوقف معان فى الاصطلاح تختلف باختلاف العلوم ، فهو عند الفقهاء : حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة . وعند العروضيين : إسكان الحرف السابع المتحرك ، كإسكان تاء مفعولاتُ ، لتصير إلى مفعولاتْ ، وسمى ذلك وقفا ؛ لأن حركة آخره وقفت أى حبست عن الحركة[2] .

أما علماء النحو فقد عرفوا الوقف بما يأتى :

١ - قطع النطق عند آخر الكلمة [3] .

٢ - قطع الكلمة عما بعدها[4] .

٣ - قطعها عن تحريك آخرها[5] .

وعرفه ابن الجزرى - وهو يمثل القراء - بقوله : الوقف عبارة عن قطع

(١) ٢٧٤ كتاب التعريفات للجرجانى ، ص ٨ منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا

(٢) السابق من التعريفات ، ٣١٠ معجم مصطلحات النحو والصرف د. محمد عبادة

(٣) ٣/٢٣٨ شرح التصريح على التوضيح ، ٢/١٧٥ حاشية الخضرى على ابن عقيل

(٤) ٢/٣٠٦ المناهج الكافية في شرح الشافية

(٥) السابق

الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، إما بما يلى الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله . لا بنية الإعراض[١] ، وهو لا يأتى فى وسط كلمة ، ولا فيما اتصل رسما ، ولابد معه من التنفس[٢] .

فعلماء القراءات ـ كما هو ظاهر من كلامهم ـ يقيدون الوقف بزمن يتسع للتنفس الذى هو عبارة عن إدخال الهواء إلى الرئتين ليستريح القارىء ويريح أعضاء نطقه، ثم يستأنف القراءة، وإذا لم يتحقق الأمران معا: التنفس واستئناف القراءة فلا يسمى قطع الصوت وقفا ، وإنما يسمى مع فقد التنفس والاستراحة « سكتة أو صمتة أو وقيفة »[٣] ، كما يطلق عليه « قطعا »[٤] فى حال نية الإعراض الكلى عن استئناف القراءة .

والنحويون لم ينصوا صراحة على هذين القيدين ، لكن شرط التنفس يفهم بطريق اللزوم من قولهم الوقف قطع النطق عند آخر الكلمة ، أى إنهاء الصوت ، وكذا يفهم من تعريفهم إياه بأنه قطع الكلمة عما بعدها ، أى فصل أصواتها عن أصوات الكلمة التى بعدها ، أما التعريف الثالث فلا يفهم منه اشتراط التنفس ، فقد لا يحرك آخر الكلمة مع عدم انقطاع الصوت وعدم التنفس ، وذلك كما فى قول الشاعر :

---

(١) ١/٢٤٠ النشر فى القراءات العشر ، ويقارن مع ص ٨ منار الهدى
(٢) ٦١ ، ١٠٠ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر
(٣) ينظر ١/٢٤٠ النشر ، ١/٢٩٦ الحجة فى علل القراءات السبع ، ١٩٥ المختار من كتاب علم الصوتيات
(٤) ١/٢٣٩ النشر فى القراءات العشر

فاليوم أشربْ غير مستحقب   إثماً من الله ولا واغل

وقول الآخر :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم   ونهر تيرى فما تعرفْكم العرب

فالفعلان المضارعان المجردان من عوامل الجزم « أشرب — تعرفكم » قطع آخرها عن الحركة ، مع عدم انقطاع الصوت وعدم التنفس ، ويسمى ذلك عند البعض وقفاً ، قال ابن الجزرى : « وقد جرى المتقدمون على تسمية السكون وقفاً »[١] ، وذلك يشمل كل سكون ، فينطبق على السكون الذى هو علامة على جزم الفعل ؛ « لأنه اقتطاع الحرف عن الحركة ومد الصوت بها للاعراب »[٢] ، لكن الأغلب والأكثر هو استعمال الوقف بمعنى البناء على السكون ، وذلك يفهم من عبارة الكتاب لسيبويه : « هذا باب مجارى أواخر الكلم من العربية ، وهى تجرى على ثمانية مجار : على النصب والجر والرفع والجزم ، والفتح والضم والكسر والوقف » (٣) ، ثم أوضح ذلك بالمثال فقال : « والوقف نحو : من وكم وقط وإذ » (٤) ، ثم قال أيضاً : « والوقف قولهم : اضرب ، فى الأمر »(٥).

---

(١) ٢٠٣/١ النشر فى القراءات العشر ، وانظر ص ٨٣ إحياء النحو
(٢) ٤٥/١ سر صناعة الإعراب
(٣) ١٢/١ الكتاب
(٤) ١٥/١ الكتاب
(٥) ١٧/١ الكتاب

فالكلمات المذكورة موقوفة ، أى مبنية على السكون ، وإنما كانت كذلك لأنها مقطوعة عن الحركة ، لكن هذا النوع من الوقف(١) أى الذى بمعنى البناء على السكون لا يلزم فيه إنهاء الصوت عند هذا الساكن ولا يلزم التنفس بعده ، ولا ينطبق عليه حد الوقف الذى نقلناه عن ابن الجزرى ، ولا يدخل فى التعريفين الأولين اللذين ذكرناهما عن النحويين ، ولذا كان تعريف ابن الجزرى للوقف باعتباره مظهراً كلامياً مقابلا للوصل أدق من تعريفات النحويين له ، وعبارة النحويين الأولى والثانية أدق بكثير من الثالثة .

مصطلحات ذات صلة بالوقف « السكت » :

أولا : عند اللغويين :

يفهم مما ورد فى المقاييس لابن فارس أن السكت يكون مرادفاً للوقف فى المعنى ، وذلك يؤخذ من عبارته : « السين والكاف والتاء [أصل] يدل على خلاف الكلام »[٢] ، ويوافقه فى ذلك ابن منظور فيقول: السكت والسكوت: خلاف النطق، وقد سكت يسكت سكوتا إذا صمت ، والاسم من سكت : السكتة (بفتح السين) ، والسكتة (بضم السين) عن اللحيانى

---

(١) الوقف بمعنى البناء على السكون قليل الدوران والشيوع فى الاستعمال، انظر كلام ابن عقيل فى هذا وتعليق الشيخ الخضرى عليه فى ٢/١٧٨ حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل

(٢) ٣/٨٩ المقاييس

ويقال : تكلم الرجل ثم سكت بغير ألف (أى ثلاثياً) فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل : أسكت ، وأنشد :

قد رابنى أن الكرىّ أسكتا

لو كان معنيًا بنا لهيّتا (١)

وهذا معناه أن مصدر الثلاثى وهو السكوت يرادف الوقف ، وأن مصدر الرباعى أى الإسكات يفيد معنى انقطاع الكلام والانصراف عنه بالمرة كانصراف الكرىّ عن التهييت (٢) لكن ما نقله صاحب اللسان عن ابن الأثير فى نفس المادة يفيد أنه لا فرق بين السكوت والإسكات ، إذ جاء فى الحديث « ما تقول فى إسكاتتك ؟ » قال ابن الأثير : هى إفعالة من السكوت ، معناها سكوت يقتضى بعده كلاماً أو قراءة مع قصر المدة (٣) .

إذن معنى السكت أو السكتة عند اللغويين: خلاف الكلام أو خلاف النطق ، ومعنى الإسكات : انقطاع الكلام والانصراف عنه ، مع نية عدم استئنافه كما يفهم من الرجز المذكور ، أو على نية الاستئناف كما قال ابن الأثير .

---

(١) ٢٠٤٦/٣ « سكت » لسان العرب

(٢) التهييت مصدر هيت به : صوت به وصاح ودعاه ، ١٠٤٣/٢ المعجم الوسيط ،

(٣) ٢٠٤٦/٣ ، ٢٠٤٧ لسان العرب

وإذا تذكرنا ما نقلناه سلفا عن الجمهرة « وحكى الشيبانى : كلمتهم ثم أوقفت عنهم » أى سكت ، وما ورد فى القاموس « وأوقف : سكت » ، استطعنا أن نقرر أن السكت والوقف مترادفان عند اللغويين ، ويشاركهما فى المعنى السكوت والسكتة والصمت ، وكذلك الإسكاتة على رأى ابن الأثير .

ثانيا : عند القراء :

قال ابن الجزرى : « والسكت : هو عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس »[١] .

ويفهم من ذلك أن السكت والوقف يفترقان فى عدة أمور :

١ ـ الزمن الذى يطول مع الوقف ويقصر مع السكت ؛ وليس هناك نص صريح يشير إلى مقدار الزمن مع الوقف أو السكت ، وإنما «يعلم ذلك بالعادة عرف القراء »[٢] .

٢ ـ التنفس مع المهلة الذى يسمح به مع الوقف ، ولا يسمح به مطلقا مع السكت حسب المشهور من مذاهب القراء .

٣ ـ الصحيح أن السكت مقيد بالسماع والنقل ، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته[٣] .

---

(١) ٢٤٠/١ النشر فى القراءات العشر
(٢) ٢٤٢/١ السابق
(٣) ٢٤٣ السابق

٤ ـ حكى عن أبى عمرو أن السكت جائز فى رءوس الآى مطلقا حالة الوصل لقصد البيان[١] .

٥ ـ السكت اصطلح القراء على تسميته : وقفة يسيرة ، أو خفيفة ، أو وقيفة ، أو سكتة يسيرة أو خفيفة أو قصيرة ، أو السكت بدون مهلة ، أو السكت بدون تنفس (٢) .

٦ ـ السكت :يكون فى آخر الكلمة كما فى الآية « قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » (٣) ، ويكون فى أثناء الكلمة كما فى سكت حمزة على الساكن الذى قبل الهمز فى نحو « الأرض ـ الأنعام »[٤]

وخلاصة القول أن السكت يرادف الوقف فى عرف اللغويين ، ويختلف عنه فى اصطلاح القراء ، وهو عندهم حالة من حالات الوصل .

وظيفة السكتة أو الصمتة أو الوقيفة :

الصمتة مصطلح صوتى يستخدمه بعض المحدثين للدلالة على معنى السكت أو السكتة بالمفهوم الذى ذكرناه ونقلناه عن ابن الجزرى «والصمتة

---

(١) ٢٤٠/١ النشر فى القراءات العشر
(٢) يراجع ٢٤٠/١ - ٢٤٣ من النشر
(٣) الآية ٥٢ من سورة ياسين
(٤) ينظر ص ٦١ إتحاف فضلاء البشر

تختلف عن الوقفة[1] فى أن الأولى أقصر زمنا من الثانية ، وأنها غير مصحوبة بتنفس ، وأنها قد تحدث على حدود كلمتين ، أو فى داخل الكلمة الواحدة ، وتقع فى الشعر وفى الكلام » [2] ، وتؤدى العديد من الوظائف التى عرض لها القدماء والمحدثون على حد سواء ، ومنها :

(أ) الدلالة على تحقيق الهمز ، قال أبو على الفارسى « كان حمزة يسكت على الياء من شىء قبل الهمزة سكتة خفيفة ، ثم يهمز فيقول : شىء قدير ، وكذلك يسكت على اللام من الآخرة ، والأرض ، والأسماء وما أشبه ذلك ، وغيره من القراء يصل الياء من شىء بالهمز ، واللام من الأرض وأخواتها بالهمز بلا سكتة .

والحجة لحمزة فى ذلك أنه أراد بهذه الوقيفة التى وقفها تحقيق الهمزة وتبيينها ، فجعل الهمزة بهذه الوقيفة التى وقفها قبلها على صورة لا يجوز معها إلا التحقيق ، لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدإ بها ، والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها ، ألا ترى أن أهل التخفيف لا يخففونها مبتدأة فكذلك هذه الوقيفة آذنت بتحقيقها لموافقتها بها صورة ما لا يخفف من الهمزات » [3] .

---

(١) المراد بالوقفة فى هذا النص ما يرادف الوقف وليست مرادفة للسكتة أو السكت

(٢) ص ١٩٥ المختار من كتاب علم الصوتيات

(٣) ٢٩٦/١ الحجة فى علل القراءات السبع

فالوقيفة هنا مصطلح صوتى مرادف للسكت أو السكتة ، وقد أدت وظيفة صوتية ، من حيث إنها قد أثرت على السياق الصوتى الذى وردت فيه ، فجعلت الهمزة بعدها على صورة لايجوز معها إلا التحقيق .

(ب) السكتة تقوم بدور واضح فى تحديد أركان الجملة أو الأسلوب ، ففى الحديث النبوى « نحن معاشر الأنبياء لانورث » نجد السكتة الموجودة بعد الضمير (نحن) وبعد كلمة (الأنبياء) تبين بوضوح أن كلمة (معاشر) منصوبة على الاختصاص ، ولو لم تكن السكتة موجودة نتوهمنا فى هذه الكلمة الإخبار حين البدء وقبل أن نصل إلى النهاية ، وذلك لإمكان تسليط العامل حينئذ ، فيقال : نحن معاشرُ الأنبياء ، كما يقال نحن لانورث وقد اندفع ذلك الاحتمال القائم بالتنغيم الحاصل من خلال السكتة على الضمير وعلى المنصوب على الاختصاص[١] .

فالسكتة هنا قد أدت وظيفة نحوية ، وساعدت فى عدم التباس المفعول به بالخبر ، ودلت على فعل الاختصاص المحذوف .

(ج) وهى أيضا تقوم بتحديد أنماط الجمل والعبارات ، يقول الدكتور كمال بشر موضحاً ذلك بالمثال (محمد الصغير) : هذه العبارة قد تكون مبتدأ وخبرا ؛ أو مبتدأ وصفة ، فإذا ما أخذنا النواحى الصوتية فى الاعتبار أمكننا تفريع هذه العبارة إلى نموذجين مختلفين نظما وإعرابا ، هكذا :

---

(١) ص ١٠٦ من وظائف الصوت اللغوى

اسم معرفة + إمكانية السكتة + صفة معرفة + نغمة هابطة .

اسم معرفة + استحالة السكتة + صفة معرفة + نغمة صاعدة .

فعلى الأول تكون العبارة (محمد الصغير) جملة من مبتدإ وخبر ، وبها تم الكلام ، وأفاد فائدة يقتضيها السياق ، وعلى الثانى تكون العبارة مبتدأ وصفة فقط ... وهكذا نرى أن الفيصل فى هذا التفريق هو إمكانية السكتة بين عنصرى العبارة فى الحالة الأولى ، وعدم إمكانيتها فى الحالة الثانية (١) .

(د) ويلحق بما سبق أنه يمكن عن طريق السكتة التمييز بين النعت الاصطلاحى وبين النعت المقطوع ، فإذا لم تكن هناك سكتة أو إمكانيتها بين النعت والمنعوت فالنعت واجب الإتباع ، وإذا وجدت هذه السكتة أو أمكن وقوعها فالنعت واجب القطع (٢) .

(هـ) ويمكن بتلك السكتة أيضا دفع إيهام خلاف المقصود ، والاستغناء عن الواو التى اعتز بها علماء البلاغة فى مثل قولهم (لا وأيد الله أمير المؤمنين) ، وذلك بأن نتبع أداة النفى بسكتة ، فتكون جملة بذاتها ، ثم نعقبها بالجملة الأخرى بدون الواو ، ويمكن الإشارة إلى ذلك

---

(١) ص ٢٤٨ علم اللغة العام - القسم الثانى الأصوات ، مع بعض اختصار .
(٢) ينظر ٢٥٠ - ٢٥٣ من السابق

فى الكتابة بوضع نقطة بعد أداة النفى ، هكذا « لا . أيد الله أمير المؤمنين » (١) .

(و) وفى بعض الأحيان تنحصر وظيفة السكتة أو الصمتة فى الجانب النفسى ، « فتتكون عن طريقها مواقف من التوتر ، تلك التى تذهب من المتكلم إلى السامعين فتؤثر فيهم »(٢) ، ويمكن أن تتمثل ذلك فى قراءة الحسن « بثلاثه آلاف » (٣) و « بخمسه آلاف »(٤) بإسكان هاء ثلاثة وخمسة فيهما ، يقول أحد الباحثين معلقا على القراءة ومعللا لها : « أكاد أستشعر فى هذه القراءة ضربا من التأكيد على هذا العدد الضخم ، فالروية فى النطق يتبعها وقف على العدد ، فتتطلع النفس إلى تمييز هذا العدد ، فيأتى المضاف إليه بعد ذلك وقد تهيأت له النفس ، فيتمكن منها تمكنا لايتأتى مع غير هذه القراءة » (٥) .

ومن غير شك فإن ما استشعره الباحث لايتجاوز أن يكون سكتة أو صمتة على هاء ثلاثه وخمسه فى الآيتين اللتين قرأهما الحسن ؛ لأن الوقف

---

(١) ينظر ٢٤٨ - ٢٤٩ من السابق

(٢) ص ١٩٦ المختار من كتاب علم الصوتيات

(٣) آل عمران ١٢٤

(٤) ١٢٥ آل عمران

(٥) ينظر ١٢٢/٢٩ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نقلا عن ص ٣٧٦ قرينة العلامة الإعرابية - للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف

الذى يصاحبه التنفس والإستراحة ممتنع (١) وقوعه على المضاف فى حالة الاختيار ، وقد أعقبت تلك السكتة تمكن التمييز فى أذهان السامعين بما تمكن ، وكان لها أجل الأثر فى نزول السكينة فى قلوب المؤمنين ، وفى ثقتهم بنصر الله .

الوقف ظاهرة قديمة :

لا يشك فى أن اللغة العربية ـ كغيرها ـ كانت فى مراحلها الأوليـــة عبارة عن أصوات أو مقاطع صوتية يشار بهـا إلى الأشياء المحسوسة ، فالإنسان البدائى كان إذا رأى الغراب قال « غاق » مقلدا صوته ليدل به عليه ، ومعنى ذلك أنه ينطق الكلمات مفردة موقوفا عليها فى تلك المراحل الأولى ، وهذا الافتراض يتأكد بمشاهدة وسماع لغة الطفل الذى يحاول النطق بلغة من يقومون على تربيته ، فيخرجها أصواتا فمقاطع صوتيـة ، فكلمات موقوفة ، ومع تطور جهازه النطقى وزيادة خبراته تزداد مهاراته اللغوية ، فيستطيع أن يركب الجمل القصيرة فالطويلة ، أى ينتقل بلغته من حال الكلمة المفردة الموقوف عليها إلى حال الجملة أو الجمل المركبة ذات الكلمات الموصولة .

وهذا التدرج يوحى بأن ظاهرة الوقف على المقاطع الصوتية أو على الكلمات قديمة قـدم اللغة ، وليست مظهرا طارئا وجد فى مرحلة دون مرحلة أخرى ، بل ربما كانت كلمات اللغة فى مرحلة من مراحلها الأولى لا تنطق إلا موقوفة ، ثم ظهر الوصل عندما بدأ الإنسان يركب

---

(١) ينظر ص ١٧ منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا

كلماته فى جمل وعبارات مفيدة ؛ ذلك لأن وصل الجمل وتركيبها مظهر من مظاهر الكمال والنضوج اللغوى .

ولا يظن ظان أننا بذلك التصور لتاريخ وقف الكلمات ووصلها نطعن فى وجود الإعراب ، كما ذهب إلى ذلك قطرب[1] المتوفى ٢٠٦ هـ ، ومن وافقه من المحدثين[2] ، لأن ما تخيلناه من بدء اللغة الإنسانية فى شكل مقاطع وكلمات موقوفة إنما يرجع إلى أزمان سحيقة موغلة فى القدم ، أما اللغة العربية التى وصلت إلينا نماذج من شعرها ونثرها فتتمثل فيها الظاهرتان على حد سواء، ظاهرة الوصل التى تتبلور فى المحافظة على حركات الإعراب ، ونهايات الكلمة فى داخل الجملة أو الجمل المنطوقة بنفس واحد ، وتتمثل فيها أيضاً ظاهرة الوقف التى تعنى التخلص من حركات الإعراب ، أو إحداث التغيير فى أواخر الكلمة الواقعة فى نهاية الجملة أو الجمل الموقوف عليها .

معنى الوقف من الناحية العضوية :

الوقف يرتبط عضويا بالرئتين ونشاطهما ، فهما يمتلئان بالهواء فى عملية الشهيق ، ثم تبدأ عملية الزفير ، ويستغل الهواء الخارج من الرئتين فى إخراج سلسلة متصلة من الكلمات والجمل الموصولة ، حتى إذا نفذ الهواء الخارج من الرئتين حدثت عملية الوقف .

---

(١) ينظر ص ٥١ إحياء النحو للاستاذ إبراهيم مصطفى

(٢) ينظر ص ٢٢٠ من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس

وقد تحدث تلك العملية بعد أن ينفذ جزء من هواء الزفير ، وفى هذه الحالة يكمل الواقف زفيره بإخراج المتبقى منه الذى لم يستغل صوتياً ، ثم يعاود الشهيق ، وهكذا دواليك .

وليس هناك من فرق بين عملية الوقف فى الحالتين إلا حدوث الوقف اضطرارا في الحالة الأولى ، ووقوعه اختيارا فى الحالة الثانية .

وهذا ما أشار إليه العلماء فى كتبهم عندما تحدثوا عن الوقف الاختيارى والاضطرارى ، وأرجعوا ذلك التقسيم إلى تمام المعنى وعدم تمامه ، قال ابن الجزرى « وأقرب ما قلته فى ضبطه أن الوقف ينقسم إلى اختيارى واضطرارى ؛ لأن الكلام إما أن يتم أو لا ، فإن تم كان اختياريا ، وإن لم يتم كان اضطراريا وهو المصطلح عليه بالقبح »[1] وهنا نراه قد ربط الاختيار بتمام الكلام لا بسعة النفس ، وقرن الاضطرار بعدم تمامه وليس بضيق النفس ، لكنه لايخفى أن اتساع النفس يتيح الفرصة لإتمام الكلام والوقف الاختيارى ، أما ضيق النفس فقد يصادف تمام الكلام وقد يوافقه عدم الإتمام ، فيفضى ذلك إلى الوقف الاضطرارى ، وقد أشار إلى ذلك ابن الجزرى فى موضع آخر ، فقال « فإنه حيث اضطر القارىء إلى الوقف على شيء (   ) باعتبار قطع نفس أو نحوه من تعليم أو اختيار جاز له

---

(١) ١/٢٢٥ — ٢٢٦ النشر فى القراءات العشر

الوقف بلاخلاف» (١) ، فالناحية العضوية لوحظت فى إنشاء الوقف ، لاسيما الوقف الاضطرارى .

الوقف ظاهرة صوتية تشكيلية :

الوقف ظاهرة أصواتية خاصة بموقع معين وهو نهاية الكلمة الموقوف عليها ، ولذا يعبر عنها بعض العلماء بأنها « موقعية النهاية »(٢).

وهو ظاهرة أصواتية تشكيلية ، لأن فى بحثها « دراسة لسلوك الأصوات فى الموقع طبقا لما يقتضيه هو »(٣).

وقد لاحظ القدماء «أن الوقف يضعف الحرف »(٤) الأخير من الكلمة الموقوف عليها ، ولذا فهو بحاجة إلى تقوية ، ويتم ذلك عن طريق إلحاق ذلك الحرف صوتا أو صويتا ، فإذا كانت النهاية الموقوف عليها صوتا من أصوات اللين القصيرة أو الطويلة تمت تلك التقوية بهاء السكت غالبا ، وذلك كما فى الوقوف على ياء المتكلم المفتوحة فى نحو « كتابيه ، وحسابيه ، وماليه ، وسلطانيه » ، وكما فى نحو « واغلاماه ، ووازيداه ، وواغلامهوه ، وواغلامهيه » ، قال ابن جنى : « وذلك أنك لما أردت تمكين الصوت

---

(١) ١/٢٣١ السابق

(٢) ١٤٦ مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان

(٣) السابق

(٤) ٢/٣٢٨ الخصائص لابن جنى

وتوضيحه ليمتد ويقوى فى السمع ، وكالوقف عليه يضعف الحرف ألحقت الهاء ، ليقع الحرف حشوا فيبين ولا يخفى »[1] .

ولعل السر فى ذلك هو أن الجهاز النطقى عند إخراج الحركات يكون مفتوحا ، ويسمح للهواء بالمرور فيه دون عوائق ، وهذا معناه أن صوت اللين إذا كان فى آخر الكلمة تبدد بسرعة مع الهواء الخارج بكمية كبيرة ، فيبدو ضعيفا خفيا ، ولذا أنشأ الوقف هاء السكت لتقوية الحركة أو صوت اللين السابق عليها ، لسكونها صوتا احتكاكيا يضيق مجرى الهواء ولا يسمح بخروجه دفعة واحدة .

وإذا كان الحرف الموقوف عليه صامتا فإن تقويته تتم عن طريق صويت ينشئه الوقف أيضا يقول ابن جنى : « فقد نجد من الحروف مايتبعه فى الوقف صوت ، وهو مع ذلك ساكن ، وهو الفاء والثاء والسين والصاد ونحو ذلك ، تقول فى الوقف : اِفْ ، اِسْ ، اِصْ .. ، ثم يقول : فإن هذا الصوت اللاحق للفاء والسين ونحوها ، إنما هو بمنزلة الإطباق فى الطاء ، والتكرير فى الراء ، والتفشى فى الشين ، وقوة الاعتماد فى اللام[2] ، وواضح من المقارنة أن الفاء والسين والصاد السواكن قد اكتسبت القوة بذلك الصوت اللاحق من وقوعها ساكنة موقوفا عليها ، فإذا تغير الوضع من السكون إلى الحركة ، أو من الوقف إلى الوصل ذهبت تلك التقوية ، لأنها مرتبطة

---

(١) السابق من الخصائص

(٢) السابق من الخصائص

بموقعية النهاية التى للوقف ، بخلاف الإطباق والتكرير والتفشى وقوة الاعتماد فإنها صفات قوة مركبة فى جسم الحرف . وليست مرتبطة بالموقع كالصوت اللاحق ، فتلك الصفات لا تفارق الحروف إذا تغير موقعها ، فالإطباق ملازم للطاء على كل حال ، وكذلك التكرير بالنسبة للراء ، والتفشى مع الشين ، وقوة الاعتماد مع اللام ، أما الصوت اللاحق فإنه يلزم القاف والسين والصاد فى موقعية النهاية فى سياق الوقف فقط ، فإن حدث تغيير فيها تبع ذلك انتقاص الصوت اللاحق أو زواله تماما ، يقول أبو الفتح فى موضع آخر : « وأقوى أحوال ذلك التصويت عندك أن تقف عليه ، فتقول : إصْ ، فإن أنت أدرجته انتقصته بعضه ، فقلت اصبر ، فإن أنت حركته اخترمت الصوت البتة ، وذلك قولك : صبر، فحركة ذلك الحرف تسلبه ذلك الصوت البتة ، والوقوف عليه يمكنه فيه ، وإدراج الساكن يبقى عليه بعضه »[1] .

والأصوات الصامتة إذا وقعت فى سياق الوقف لم تسكن على درجة واحدة فى حصر الصوت ، فبعضها يكون الحصر معه تاما ، أى ينحبس الهواء الخارج معه انحباسا تاما خلف أعضاء النطق التى تشارك فى إخراجه، وذلك فى الحروف الشديدة كالطاء والدال ، وأحيانا يكون الحصر بدرجة أقل كما فى الحروف المتوسطة كاللام ، وآونة تقل درجة الحصر حتى يتبع الصوت الحرف كما فى السين والصاد ، ويكاد ينعدم الحصر فى ألف المد

---

(١) ١/٥٨ الخصائص

ويائه وواوه ، حيث لا يكون هناك حصر ولا ضغط بالمرة ، كل ذلك لا نتبينه بصورة جلية واضحة إلا فى سياق الوقف (١) .

هذا ولا يمكننا أن نغفل ارتباط الوقف من الناحية التشكيلية بالنظر فى المقاطع الأخيرة من الكلمة الموقوف عليها ، وملاحظة مايحدث فيها من تغيير ، فالمقطع الأخير من موقعية النهاية قلما يبقى على حاله فى الوصل دون تغيير يلحقه ، ومن بين تلك الحالات القليلة المقطع الأخير من الفعل الماضى المختوم بتاء التأنيث ، كما فى الآية « قالت ربى إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت » (٢) ، فالمقطع الأخير وهو عبارة عن (س + ع + س) ينطق بصورة واحدة فى الوصل والوقف ، وربما يكون الذى منع من التغيير فى ذلك الموضع كون المقطع الموقوف عليه مغلقا ، ومعروف أن اللغة العربية تميل (٣) بصفة عامة إلى المقاطع المغلقة .

وقد عبر المحدثون عن ذلك بقولهم : إن اللسان العربى ينفر من توالى أربعة مقاطع متحركة فيما هو كالكلمة ، ولكنهم أباحوا توالى أربعة مقاطع ساكنة فيما هو كالكلمة مثل « استفهمتم » (٤) . يضاف إلى ذلك

---

(١) يراجع ٤/١٧٤ - ١٧٥ من الكتاب ، ٧ ، ٨ من سر الصناعة

(٢) ٣٦ آل عمران

(٣) ينظر ص ١٦٣ الأصوات اللغوية د. أنيس

(٤) ينظر ص ١٦٤ السابق

أن ثلاثة أرباع المقاطع المغلقة مقاطع وقفية ، بمعنى أنها لا تتحقق إلا فى واحدة من موقعيات الوقف غالبا أو دائما:

- فالمقطع من الشكل الرابع (س + ح ح + س) مقطع وقفى غالبا .
- والمقطع من الشكل الخامس (س + ح + س س) مقطع وقفى دائما .
- والمقطع من الشكل السادس (س + ح ح + س س) مقطع وقفى دائما (١)

فالمحافظة على المقطع المغلق أيا كان شكله فى نهاية الكلمة الموقوف عليها يتفق مع الذوق العربى الذى يستحسن أو يميل إلى أن يكون المقطع الموقوف عليه مغلقا ، وقد تأكد لنا ذلك من نتيجة الإحصاء الذى أجريناه على الفواصل القرآنية باعتبارها نهايات وقفية ، فوجدنا أن المقاطع المغلقة تمثل ثمانين بالمائة (٨٠٪) من جملة المقاطع الواقعة فى نهايات الفواصل موقوفا عليها .

ثم إن الصامت الذى فى نهاية الفعل الماضى المختوم بتاء التأنيث جىء به لإفادة معنى خاص وهو الدلالة على تأنيث الفاعل ، فلو حدث فيه تغيير

---

(١) يراجع فى ذلك العربية الفصحى ٤٢ وما بعدها - فليش ، ودراسة الصوت اللغوى ٢٦٠ ، والأصوات اللغوية ١٦٥ وما بعدها ، ومناهج البحث فى اللغة ١٤٢ ، ودروس فى علم أصوات العربية ١٩٢ ، وعلم الأصوات تأليف مالمبرج تعريب د. شاهين ص ٢٠١ ، ودراسات فى التجويد والأصوات اللغوية د. عبد الحميد أبو سكين ١٢١ ، ١٢٢

بالحذف لأدى ذلك إلى انتفاء تلك الدلالة ، وأدى إلى أن يكون المقطع الأخير (ص + ح) وهو غير مستساغ لدى الذوق العربى فى الوقف ، ويؤدى إلى حذف الحركة وضم الصامت إلى المقطع السابق عليه ، أى ينتهى الفعل (وضعتْ) إلى (وضعْ) ، وفى تلك الصورة الأخيرة يلتبس الفاعل المؤنث بالفاعل المذكر ، واللغة العربية تميل بطبيعتها الأدائية إلى الوضوح لا إلى الخفاء واللبس .

وهذا كله يعنى أن اللغة العربية حافظت على المقطع الأخير فأبقته فى الوقف كما كان فى الوصل للعلة التى اقتضاها السياق ، وهى كونه مقطعا مغلقا محببا لدى الذوق العربى فى الوقف ؛ وكون المحافظة عليه مانعة من وقوع اللبس .

أما الحالات التى يتغير فيها المقطع الأخير الموقوف عليه فهى كثيرة ، فأحيانا ينتقص من ذلك المقطع ، وأحيانا أخرى يزاد فيه ، حسبما يقتضى سياق الوقف ، فقد ثبت لدى الدارسين قديما وحديثا أن الكلمة العربية لا يمكن أن تنتهى بحركة قصيرة فى حال الوقف ، وأنه إذا كان المقطع الأخير فى الوصل عبارة عن (ص+ح) فإن الوقف عليه يؤدى إلى حذف الحركة الإعرابية دائما ، ذلك « لأن الحركة مظهر من مظاهر الاستمرار فى الأداء ، والصمت (أى الوقف) .. يعتبر عكس الحركة تماما ، فبينه وبين الحركة تنافر »(١) ، يضاف إلى ذلك المقطع المنتهي بالحركة القصيرة

---

(١) ٢٧٠ ، ٢٧١ اللغة العربية معناها ومبناها

« لا يقع عليه النبر وهو فى آخر الدفعة الكلامية أبدا ، وانعدام النبر فى هذا المقطع يضعف الحركة فى النطق .. ومن ثم تكون الحركة الأخيرة فى ضعفها وقصورها عن الوصول إلى الأذن غير ذات قيمة كبيرة باعتبارها قرينة لفظية على المعنى » (١) ، ولذا يقتضى سياق الوقف حذف تلك الحركة حذفا كليا فى الوقف بالسكون ، فيصير الصامت وحده هو الجزء المتبقى من المقطع الأخير ، فينضم إلى المقطع السابق عليه مكونا مقطعا مغلقا صالحا لأن يوقف عليه . ولنتمثل ذلك فى نطق الاسم الأخير من الآية « وإنى سميتها مريم » (٢) ، فعلى اعتبار الوصل تكون كلمة مريم مكونة من ثلاثة مقاطع هكذا :

ـ الأول من الشكل الثالث (س + ح + س) = مَرْ

ـ الثانى من الشكل الأول (س+ح) = يَ

ـ الثالث من الشكل الأول (س+ح) = مَ

أما فى حال الوقف فيتغير عدد المقاطع ، وشكل المقطع الموقوف عليه هكذا :

ـ الأول من الشكل الثالث (س+ح+س) مَرْ

ـ الثانى وهو الأخير من الشكل الثالث أيضا (س+ ح+س) يَمْ

---

(١) ٢٧١ السابق

(٢) آل عمران ٣٦

وهذا معناه أن التشكيل الصوتى للكلمة فى الوقف يختلف عنه فى حال الوصل للعلة التى اقتضاها سياق الوقف أى أن المعادلة أصبحت كالآتى :

الكلمة فى الوصل = (س+ح+س) + (س+ح) + (س+ح) .

الكلمة فى الوقف = (س+ح +س) + (س+ح+س + ×) .

وإذا كان المقطع الأخير من الكلمة التى يراد الوقف عليها مختوما بحركة قصيرة بنائية غير شبيهة بحركة الإعراب فإن سياق الوقف يقتضى المحافظة على تلك الحركة فى الأعم الأغلب، ويلجأ إلى زيادة صامت بعدها لغلق المقطع الأخير ، وكثيرا مايكون هذا الصامت (هاء السكت) ، ولنتمثل ذلك فى: كتابيهْ ، وحسابيهْ ، وماليهْ ، وسلطانيهْ ، من فواصل الآيات القرآنية . « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيهْ »[1] ؛ « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيهْ ، ولم أدر ماحسابيهْ ، ياليتها كانت القاضيهْ ، ما أغنى عنى ماليهْ ، هلك عنى سلطانيهْ »(٢) ـ فالمقطع الأخير قبل لحاق هاء السكت مقطع قصير مفتوح (س +ح) ، وهو مقطع ينفر الذوق العربى من الوقوف عليه كما أسلفنا ، فتخلصت منه اللغة الفصحى بزيادة هاء السكت

---

(١) الحاقة ١٩ ، ٢٠

(٢) الحاقة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩

عليه ؛ ليصير مقطعا مغلقا من الشكل الثالث (س+ح + س) وهو من المقاطع الشائعة (١) فى الاستعمال ، بل من أكثرها ورودا (٢) فى اللغة العربية ، وبما أنه مغلق فهو محبوب لدى الذوق العربى فى الوقف بوجه خاص .

وهناك حالات أخرى يتشكل فيها المقطع الأخير حال الوقف بإسقاط جزء منه والتعويض عنه بإطالة الصامت الذى قبل الجزء الساقط ، وذلك يحدث فى الاسم المرفوع المنون الموقوف عليه بالتضعيف نحو (هذا خالدٌ) فالمقطع الأخير فى الوصل هو الدال المنونة (س+ح + س) ، وعند الوقف تسقط نون التنوين وهى صامت ، وتسقط الحركة الإعرابية أيضا ، ويعوض عنهما بتشديد الدال ، وينضم الصامتان الناتجان من التشديد إلى المقطع السابق عليهما ؛ ليصير المقطع الأخير مغلقا مختوما بصامتين هكذا : (س+ح + س س) ، وهو يساوى (لِدّ) من خالد .

ومعنى هذا أن التشكيل الصوتى لكلمة (خالد) يختلف فى الوقف عنه فى الوصل ، وهو فى الحالين هكذا :

الكلمة فى الوصل = (س+ح ح) + (س+ح) + (س+ح+س)

الكلمة فى الوقف = (س+ح ح) + (س+ح + س س × ×) .

---

(١) ينظر ١٦٥ الأصوات اللغوية

(٢) ينظر ١٤٥ أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى

ومن حالات التغيير أيضا سقوط الجزء الأخير من الكلمة الموقوف عليها والتعويض عنه بإطالة الصائت الذى قبله ، وذلك كما فى الوقف على الفعل المؤكد بالنون الخفيفة مثلا، إذ يصير الفعل (اِضْرِبَنْ) عند الوقوف عليه (اضربا) والتشكيل الصوتى لمقاطع الفعل المذكور فى الوصل والوقف هكذا :

الكلمة فى الوصل = (س + ح + س) + (س + ح)
+ (س + ح + س).

الكلمة فى الوقف = (س + ح + س) + (س + ح)
+ (س + ح ح ×).

ولنا بعد ذلك أن نفسر المقولة المشهورة عن القدماء (الوقف موضع تغيير)[١] بأن التغيير من أجل الوقف لا يحدث على سبيل الوجوب ، وليس بصفة دائمة ولا موحدة فى كل النهايات الموقوف عليها ، فهناك نهايات مقبولة وصلا ووقفا كما أسلفنا ، لكن التغيير هو السمة الغالبة ، وهو يشمل — من وجهة نظرنا — كل أنواع التغيير من الحذف والزيادة والتعويض ، والإضعاف والتقوية ، وشكل المقطع الأخير ورتبته أيضا ؛ « لأن الترتيب المقطعى فى حالة الوصل يختلف غالباً عنه فى حالة الوقف »[٢] .

وقد يمتد ذلك التغيير إلى موضع النبر أيضاً ، ما لم يكن المقطع الأخير من الأشكال الثلاثة الأخيرة (الرابع والخامس والسادس) ؛ فإن مساحته

---

(١) ١/٦٠ الحجة فى علل القراءات السبع

(٢) ٣٧٣ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

البنيوية حينئذ تسمح للنبر أن يتم على الحركة (النواة) قبل أن يتلاشى الصوت فى الوقف اعتمادا على بقية المقطع[1] .

وقد لاحظ الدكتور إبراهيم أنيس أن اللهجات العربية بوجه عام تميل فى حالة الوقف إلى نقل النبر من مقطعه إلى المقطع الذى قبله طالما كان المقطع الذى قبل الأخير متحركا ، فإن كان ساكنا لم يتغير موضعه فى أية لهجة من اللهجات ، وقد ضرب لذلك مثلا بكلمة (خالدٍ) التى يقع النبر فيها على المقطع الذى قبل الأخير حال الوصل ، وهو (لِ) ، فإذا وقف عليها بالسكون حسبما تقضى به طريقة اللغة النموذجية ، انتقل النبر إلى المقطع الذى قبله وهو (خا) ، أما إذا وقف على الكلمة المذكورة كما تقف قبيلة أزد السراة من أهل اليمن فإنها تصير فى الوقف (خالدو - خالدا - خالدى) بحذف التنوين وإطالة الحركة الإعرابية ، ويبقى النبر فى موضعه قبل الوقف ، حيث يلزم المقطع الذى قبل الأخير (لِ) ، وفى حالة الوقف بالتشديد مثلما تقف قبيلة سعد بن بكر حيث تقول (خالدّ) بتشديد الدال ، لايبرح النبر مكانه فى الوصل وهو المقطع (لِ) الذى يكوّن مع الدال المشددة مقطعا من الشكل الخامس ، وهو صالح لوقوع النبر عليه فى نهاية الكلمة دائما[2] .

---

(١) ينظر ١٤٧ ، ١٤٨ فى اللهجات العربية ، ٧٩ ، ٨٠ التجويد والأصوات د. نجا ٢٠٣ ، علم الأصوات - برتيل مالمبرج

(٢) راجع ١٤٦ وما بعدها من كتاب : اللهجات العربية

الوقف ظاهرة تستحق الاهتمام :

الوقف ظاهرة لغوية قديمة استرعت انتباه اللغويين والنحويين، فتحدث النحويون عنها فى كتب النحو ، وخصوصا بباب مستقل يدعى (باب الوقف) ، وقد أفردها بالحديث سيبويه فى الكتاب ، ودرج على ذلك علماء النحو من بعده ، وأشار علماء اللغة إلى هذه الظاهرة فى أماكن متفرقة من كتبهم ، كأبى على الفارسى وابن جنى وغيرهما ، وعنى علماء القراءات بهذه الظاهرة أيما عناية ، حتى إنهم أفردوها بالحديث فى كتب خاصة بها ، ومن ذلك مثلا :

١ - كتاب[1] الاهتدا فى بيان الوقف والابتدا ، لابن الجزرى .

٢ - كتاب[2] الوقف والابتدا ، للسجاوندى (محمد بن طيفور) .

٣ - كتاب طبقات الوقف والابتدا ، لأبى عمرو الدانى (عثمان ابن سعيد) .

٤ - وقيل له أيضا كتاب المكتفى فى الوقف والابتدا[3] .

٥ - منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ، لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشمونى .

---

(١) ذكره ابن الجزرى فى النشر ١/٢٢٤

(٢) ورد ذكره فى السابق ١/٢٢٥ - ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وفى أخبار التراث العربى ص ٤٠ العدد ٣٦ مارس ١٩٨٨ م

(٣) ذكر الكتابان فى أول كتاب المقنع فى رسم مصاحف الأمصار

٦ ــ المرشد (١) فى الوقف والابتدا ، لأبى محمد الحسن بن على بن سعيد العمانى .

٧ ــ المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتدا ، لشيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى .

هذا ، ولم يخل مؤلف فى القراءات صغيرا كان أو كبيرا من الكلام على الوقف ، مما يدل على أهمية تلك الظاهرة ، يضاف إلى ذلك أن الوقف يقابل الوصل ، ويمثل كل منهما مظهرا مهماً من مظاهر اللغة العربية ، والعلم بأحدهما لا يقل أهمية عن العلم بالآخر ، ولا يغنى عنه ، فمن يعرف كيف يصل الكلمات والجمل ويدرك العلاقات النحوية القائمة بينها ، فيرفع الفاعل وينصب المفعول والحال والتمييز ويجر المضاف إليه ... ، حرى به أنْ يعرف كيف يقف الكلمات والجمل ؟ ومتى يستحسن الوقف ومتى يستقبح ؟

وقد بحث النحويون كيفية الوقوف على الكلمات والجمل على أساس مما وصل إليهم عن العرب الفصحاء الذين كانوا ينطقون باللغة النموذجية التى أنزل بها القرآن ، أو مما وصل إليهم عن القبائل العربية التى احتفظ لها الرواة بنماذج لهجية توضح مناهجها فى الوقف على أواخر الكلمات ، وقد أرجع بعض النحويين جملة التغييرات التى تلحق الكلمات الموقوف عليها إلى ثمانية أنواع من التغيير غالبا ، وهى مجموعة فى قوله :

---

(١) ذكر فى مقدمة المقصد لتلخيص ما فى المرشد المذكور بعده

(زيادة حذف إسكان ونقل كذا التضعيف والروم والإشمام والبدل)[1] .

أما علماء القراءات قد أفاضوا فى الحديث عن أقسام[2] الوقف ومراتبها ، فصار لديهم الوقف الاختيارى وهو ما يكون بعد تمام المعنى ، ويشمل : التام ، والكافى ، والحسن ، ويقابلها الوقف الاضطرارى ، وهو المصطلح عليه بالقبيح ، وهو ما اشتد تعلقه بما بعده لفظا ومعنى ، كالوقف على قوله (لا تقربوا الصلاة)[3] وقوله (فويل للمصلين)[4] وقوله (إن الله لا يستحى)[5] ، فهذا ونحوه يقبح الوقف عليه لأنه يوهم غير ما أراده الله تعالى ويفسد المعنى المقصود ، ولا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه .

وقد أدرك العلماء الجوانب المهمة التى تجعل من الوقف ظاهرة جديرة بالنظر والاهتمام ، « فهو ذو دور فعال فى الأداء ووسيلة أدائية يستطيع بها

---

(١) ٢/١٧٥ حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل .

(٢) ينظر ١/٢٢٦ النشر فى القراءات العشر ، وص ١١ منار الهدى ، وص ٥ ، ٦ من كتاب المقصد لتلخيص ما فى المرشد ، ص ١٦٧ التجويد وعلوم القرآن - عبد البديع صقر - ط السادسة

(٣) النساء ٤٣

(٤) الماعون ٤

(٥) البقرة ٢٦

المتكلم أن ينقل إلى السامع تأكيدا لفكرة معينة ، وأن يرسم أو يخطط للفكرة التالية لها ، وأن يصنع منها مواقف من التوتر جثمانية ونفسية ، وهو من أهم الوسائل التى عن طريقها يقسم المتكلم كلامه إلى مجموعات معنوية ، ويسهم بها فى صنع السلسلة الإيقاعية »[1] .

ويبرز الإيقاع الوقفى بصورة جلية وعملية من النظر فى الأساليب المنثورة المشتملة على السجع ، إذ لابد فيهما من توافق الفاصلتين أو الفواصل ، فى الصامت الأخير ، ولابد من سكونه والوقف عليه ، لاسيما عند اختلاف الحركات الإعرابية ، لأن الغرض هو المزاوجة بينها ، ألا ترى أننا لو لم نقف فى قولنا « ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت » لم يكن الكلام مسجوعا ، ولم يتحقق الغرض منه وهو تحسين الكلام[2] .

وليس ببعيد من هذا نظم الفواصل القرآنية ، الذى يتحقق بإبراز ما فيها من موسيقى قرآنية عذبة ، ولا يتم ذلك إلا بالوقف على تلك الفواصل ، ولنقرأ مثلا الآيات الأولى من سورة الرحمن التى ختمت فواصلها بحرف النون « الرحمن(١) علم القرآن(٢) خلق الإنسان(٣) علمه البيان(٤) الشمس والقمر بحسبان(٥) والنجم والشجر يسجدان(٦) والسماء رفعها ووضع الميزان(٧) ألا تطغوا فى الميزان(٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا

---

(١) ١٩٥ المختار من كتاب علم الصوتيات « مع تغيير طفيف »

(٢) ينظر ٤/٩٥ ، ٩٦ بغية الايضاح ـ عبد المتعال الصعيدى

الميزان(٩)» - فإننا نلاحظ أن الفاصلة[1] من الآية الأولى مرفوعة، ومن الثانية والثالثة والرابعة مفتوحة ، ومن الخامسة والسادسة مكسورة ، ومن السابعة مفتوحة ، ومن الثامنة مكسورة ، ومن التاسعة مفتوحة ، وعند الوقف عليها تصير جميعها ساكنة ، فتبرز موسيقاها ، وترن فى الأذن نغمة موحدة تحملها النون الساكنة بما فيها من غنة محببة إلى النفوس .

« فالفاصلة تقع عند الاستراحة فى الخطاب بتحسين الكلام بها ، وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام »[2] .

ومن الجوانب المهمة للوقف أيضا تلك الراحة النفسية التى يشعر بها المتكلم فى نهايات الجمل التى يقف عليها ، وكذلك الراحة العضوية لأعضاء نطقه التى تخرج الأصوات أو لتلك التى تشارك فى صنع الكلام كالرئتين والحجاب الحاجز وعضلات الصدر والبطن ، وكما قالوا : « المقاطع التى ينتهى إليها القارىء كالمنازل التى ينزلها المسافر »[3] ، أى تحقق له قدرا من الراحة التى تؤثر فى اعتدال نسق الكلام وتجويده وتحسينه .

ولئن كانت المعانى النحوية مرتبطة بوجود الحركات الإعرابية فى

---

(١) للتعرف على معنى الفاصلة وتاريخ تسميتها ينظر ٣١/١٣٧ مجلة مجمع اللغة العربية .

(٢) ١/٥٣ البرهان فى علوم القرآن

(٣) ٤ ، ٥ المقصد لتلخيص ما فى المرشد

نهايات الكلمات الموصولة فقيل[1] عن الضمة إنها علم الإسناد ، وعن الكسرة إنها علم الإضافة ، فإن الوقف فى بعض صوره لا تستدعى عليه تلك الوظيفة ، إذ قد يستدل على الحركة الإعرابية أو البنائية ببعضها كما هو الحال فى الوقف بالروم ، وعلى الضمة باستدارة الشفتين كما فى الوقف بالإشمام ، ولذا وصفهما بعض (٢) المحدثين بأنهما ـ أى الروم والإشمام ـ وسيلتان من وسائل التعليم ، والغرض منهما هدى الناشئين من المتعلمين إلى معرفة حركة آخر الكلمة رغم الوقف عليها .

وحتى فى حال الوقف بالسكون التام فقد جوز العلماء[3] سقوط الحركات الإعرابية لأنه إذا وصلت الكلمة ظهرت الحركة ، كما أنها يستدل عليها بالموضع أى بالسياق يضاف إلى ذلك أن العامل يدل عليها فيعرف هى به ، ولذا لم تكن الحركات الإعرابية بحاجة إلى مايبينها كالحركات المتوغلة فى البناء ، قال صاحب[4] التصريح « ولاتدخل هاء السكت فى نحو جاء زيد ؛ لأنه معرب بالحركات ، وحركة الإعراب تعرف بالعامل ، فلا تحتاج إلى بيان بهاء السكت » .

---

(١) ٧٨ إحياء النحو

(٢) ٢٢٣ من أسرار اللغة

(٣) ينظر : قول فى الإعراب للاستاذ محمد شوقى أمين ٣٧/٦٦ مجلة اللغة العربية

(٤) ٣٤٥/٢ شرح التصريح على التوضيح

هذا وقد حرص العلماء أشد الحرص على أن تكون المعانى النحوية سليمة فى حال الوقف سلامتها فى حال الوصل ، فقرروا أن كل كلمة تعلقت بما بعدها وكان مابعدها من تمامها لا يوقف عليها ، فلا يوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا على المنعوت دون نعته مالم يكن رأس آية ، ولا على الشرط دون جوابه ، ولا على الموصوف دون صفته ، ولا على الرافع دون مرفوعه ، ولا على الناصب دون منصوبه ، ولا على المؤكد دون توكيده ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا على البدل دون المبدل منه ، ولا على إنّ أو كان أو ظن وأخواتهن دون اسمهن ، ولا على اسمهن دون خبرهن ، ولا على المستثنى منه دون المستثنى ، ولا على الموصول دون صلته ولا على الفعل دون مصدره ، ولا على حرف دون متعلقه ، ولا على الحال دون ذيلها ، ولا على المبتدإ دون خبره ، ولا على القسم دون جوابه ، ولا على القول دون مقوله ، لأنهما متلازمان كل واحد منهما يطلب الآخر ولا على المفسّر دون تفسيره ؛ لأن تفسير الشيء لاحق به ومتمم له ، وجار مجرى بعض أجزائه[1] .

ومن غير شك أن معنى الوقف فى تلك المواضع مبعثه الحرص على أن يكون المعنى سليما ، وأن تكون الدلالة واضحة فى ذهن المتكلم والسامع ، وألا يوهم الكلام غير المراد ، فلا يجوز أن يوقف على شيء من ذلك فى

---

(١) ينظر ١/٢٣٠ ، ٢٣١ النشر ، ١٧ ، ١٨ منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا

حالة الاختيار ، أما إن اضطر المتكلم إلى الوقف على شيء من ذلك باعتبار قطع نفس أو نحوه من تعليم أو اختبار جاز له الوقف بلا خلاف .

وعلى العكس من ذلك فقد يكون الوقف لازما إذا ترتب على الوصل توهم غير المعنى المراد ، وذلك كالوقف على (قولهم) من الآية : « فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون »[١] ، لأن وصله بما بعده يوهم أن الجملة الإسمية (إنا نعلم) مقولة للكافرين ، وهذا خلاف المعنى المقصود ، لأنها من كلام الله عز وجل . ومثل ذلك الوقف على فاصلة الآية « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار »[٢] ؛ لأن وصلها بالآية بعدها « الذين يحملون العرش ومن حوله »[٣] يوهم البدل من أصحاب النار ، وذلك خلاف المعنى المقصود .

فالوقف الحسن ـ إذن ـ له دور كبير فى الإرشاد إلى المعنى الصحيح كما أن إعراب الكلمات ووصلها يؤدي تلك الوظيفة .

---

(١) ياسين ٧٦ (٢) غافر ٦

(٣) غافر ٧

الفصل الثانى

الوقف بالسكون

أصالة الوقف بالسكون :

السكون أحد الأوجه التى يوقف بها على الكلمة العربية ، بل هو أهم هذه الأوجه جميعا وأكثرها شيوعا ، يدلنا على ذلك واقع اللغة المنطوقة والمكتوبة على حد سواء ، بمعنى أننا لو أحصينا الوقوف لتال للقرآن الكريم أو محاضر أو خطيب أو قارىء لنشرة أخبار مثلا ، لوجدنا أن أكثر وجوه الوقف شيوعا هو الوقوف بالسكون ؛ « ذلك لأن انقطاع النفس ، وقوة التعبير وسلامته ، يقتضى الوقف بالسكون كما هو ملموس نطقا »(1) .

وكذلك لو أجرينا إحصاء على نص نثرى مكتوب كالقرآن الكريم ، واعتبرنا أن كل فاصلة من فواصله موضع الوقف ، وبخاصة أن « الوقف على رءوس الآى سنة متبعة »(2) ؛ لما ورد فى حديث(3) أم سلمة رضى الله تعالى عنها من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية - لوجدنا أن نسبة الوقوف بالسكون تصل إلى أكثر من (٨٠٪) من

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى

(٢) ص ٦ منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا

(٣) ينظر تمام الحديث ١/٢٢٦ النشر فى القراءات العشر

جملة الفواصل ، ولذا قال ابن الجزرى : اعلم أن من عادة القراء أن يقفوا على أواخر الكلم المتحركة فى الوصل بالسكون لا غير ، لأنه الأصل »[١] ، وإنما كان كذلك « لأن لغة العرب أن لا يوقف على متحرك ، ولأنه أخف ، والوقف موضع تخفيف »[٢] .

التعريف بالسكون :

السكون هو المصطلح المقابل للحركة ، وهو ليس بصوت ، وإنما هو علامة عدمية على خلو الصوت الصامت من الحركة ، ولذا فقد جعلوه علامة على جزم الفعل المضارع الصحيح الآخر نحو « لم يكتبْ » أى علامة على خلو آخر الفعل المجزوم من الحركة ، فالسكون إذن يراد به عدم تحريك الحرف »[٣] .

هذا ومع صفته الصوتية العدمية ، فإنه يؤدى وظيفة مماثلة للحركة التى لها صفة وجودية ، فكما جعلوا الضمة علامة على الرفع ، والفتحة علامة على النصب ، والكسرة علامة على الجر ، جعلوا السكون علامة على الجزم ، ولا فرق بين الثلاثة وبينه إلا فى أنها علامات وجودية ، وهو علامة عدمية .

إذن يمكن تعريف السكون بأنه علامة عدمية تؤدى وظيفة صوتية .

---

(١) ٧٥ تحبير التيسير فى قراءة الأئمة العشرة

(٢) ٢٦٦ إبراز المعانى من حرز الأمانى

(٣) ص ١٥٢ معجم مصطلحات النحو والصرف

أو كما قيل « السكون وحدة فى النظام الصوتى للغة العربية يقف فى مقابل الحركة أياً كانت هذه الحركة ، فتحة كانت أو كسرة أو ضمة ، فتسكون بينهما قيمة خلافية ، فالنظام الصوتى يشتمل على السكون بهذا الوصف »(١) .

ولذا صلح السكون أن يكون علامة على الوقف ، ولم تصلح لذلك الحركات الثلاث ؛ لأن الوقف ـ كما بينا فى الفصل الأول ـ يدل على انتهاء النطق وانقضائه ، أو بعبارة أخرى الوقف هو أول مرحلة انعدام النطق والصوت ، أى يمثل « موقعية النهاية »(٢) ، فاختاروا العلامة العدمية ـ السكون ـ ليدلوا بها على أول انعدام النطق .

ومن هنا يصح أن نقول : إن الوقف فى أكثر حالاته شيوعاً أمر عدمى ، وعلامته عدمية ، أما الوصل فهو أمر وجودى ، وعلاماته ـ أى الحركات ـ وجودية أيضاً .

ولعل هذا ما أراده الدكتور تمام حسان حين أرجع ظاهرة الوقف إلى « كراهية توالى الأضداد أو كراهية التنافر »(٣) أى تنافر الوقف والحركة أو تضاد الوقف والحركة ، من حيث إن الحركة مظهر من مظاهر الاستمرار فى الأداء ، والوقف عكس ذلك تماما .

---

(١) ص ٢٩٥ اللغة العربية معناها ومبناها

(٢) ص ١٤٧ مناهج البحث فى اللغة ط ١٩٥٥ م

(٣) ص ٢٧٠ اللغة العربية معناها ومبناها ط ١٩٧٩ م

ولما كانت الحركات الثلاث توصف جميعا بالانطلاق ، حيث لا يعوقها عائق فى مجرى الحلق والفم ، وتوصف بكونها مجهورة ، كان العبء الذى يتحمله الجهاز النطقى فى إنتاجها متقاربا ، وصار من المعقول أن يتجه الناطق إلى التخلص منها دون تفرقة بينها فى موقعية النهاية ، ويستعيض عنها بتلك القيمة الخلافية المسماة بالسكون ، التى تتواءم مع الغرض العام من الوقف ، وهو تحقيق الراحة العضوية لجهاز النطق ، والراحة النفسية للمتكلم .

الوقف على الاسم الصحيح والآخر غير المؤنث :

أولا : الوقف على غير المنون :

لم يختلف الناطقون باللغة العربية فى أن الاسم المذكور يجوز الوقف عليه بالسكون إذا كان غير منون مرفوعا كان أو منصوبا أو مجرورا ، ولا يخرج تعليل ذلك عما قدمناه منذ قليل من اتجاه الناطق إلى إسقاط الحركة والتخلص منها لكونها مظهرا من مظاهر الاستمرار فى الأداء ، فى حين أن الوقف موضع راحة ، وفى ذلك نوع من التنافر ، ولذا أسقطت الحركة .

والسر فى سقوطها هو أن الحركة التي تقع فى نهاية الدفعة الكلامية لابد لمقطعها أن يكون من نوع (ص + ح) ، وهو نوع لا يقع عليه النبر وهو فى آخر الدفعة الكلامية أبدا ، وانعدام النبر فى هذا المقطع يضعف الحركة فى النطق ...، ومن ثم تكون الحركة الأخيرة فى ضعفها وقصورها

عن الوصول إلى الأذن غير ذات قيمة كبيرة باعتبارها قرينــة لفظية على المعنى(١) .

وسقوط الحركة القصيرة من أجل الوقف يصاحبه تغيير فى مقطع النهاية، فيتحول من (ص + ح) إلى (ص + ح + ص) إذا كان مسبوقا بمثله كما فى كلمة أحد .

ويتحول إلى (ص + ح ح + ص) إذا كان مسبوقا بمقطع من الشكل الثانى (ص + ح ح) ، كما فى لفظى الرحمن الرحيم .

ثانيا : الوقف على المنون :

وإذا كان الاسم المذكور منونا ، فإما أن يكون منصوبا أو مرفوعا أو مجروراً ، فإذا كان منصوبا وقف عليه فى اللغة النموذجية بإبدال التنوين ألفا كما قال بعض العلماء أو بإسقاط التنوين مع التعويض عنه بإطالة الحركة السابقة عليه كما قال آخرون ، وسيأتى تفصيل ذلك فى موضعه .

أما إذا كان الموقوف عليه منونا مرفوعا أومجرورا فقد سلكت اللغة الفصحى فى الوقوف عليه مسلكا آخر ، فآثرت حذف التنوين والحركة الإعرابية منهما ، والوقف عليهما بإسكان الصامت السابق عليهما ، نحو هذا زيدْ ، ومررت بزيدْ .

وقد علل النحاة العدول عن الإبدال إلى الواو والياء ، أوالتعويض بهما

---

(١) ٢٧١ اللغة العربية معناها ومبناها

عن حذف التنوين كما حدث فى حالة المنصوب « بأن الواو والياء حرفان ثقيلان فى أنفسهما ، وإذا اجتمعت الضمة مع الواو والكسرة مع الياء ، زاد الثقل ، بخلاف الألف ، فلم يكن معها ثقل فتركوها على حالها »[1] ، كما أن الوقف على المضموم بالواو يخرج عن الأصل ، إذ ليس فى كلامهم اسم آخره واو مضموم ما قبلها ، ولو وقف على المجرور بالياء لالتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم »[2] .

وقد فطن ابن جنى سلفا إلى ذلك « وأن بين الياء وبين الواو قربا ونسبا ليس بينهما وبين الألف ، ألا تراها تثبت فى الوقف فى المكان الذى تحذفان فيه ، وذلك قولك : هذا زيدْ ، ومررت بزيدْ ، ثم تقول : ضربت زيدا » (٣) .

ومن ثم قرر المحدثون أن هناك علاقة قوية ووجها للشبه بين الضمة والكسرة ، وأنهما تقابلان الفتحة ، « وقد نتج هذا التقارب بينهما من ناحية عضوية ، هى أن وضع اللسان يكون أضيق ما يكون فيهما .. فهو فى الكسرة مطبق تقريبا بجزئه الأمامى على منطقتى اللثة والغار ، وهو فى الضمة مطبق بجزئه الخلفى على منطقة الطبق ، فكمية الهواء التى يسمح لها

---

(١) ٢٣٨/٢ شرح التصريح

(٢) ٢١٠/٢ المناهج الكافية فى شرح الشافية ، ٢١ المقصد لتلخيص ما فى المرشد

(٣) ٢٣/١ سر صناعة الإعراب

بالانطلاق فى هاتين الحالتين تكاد تكون متساوية ، ولكن شكل غرفة الرنين فى الفم هو الذى يحدث الفرق بينهما فى الطابع . أما فى الفتحة فإن اللسان يكون أكثر ابتعاداً عن الحنك الأعلى ، ومن ثم تكون كمية الهواء المنطلقة من الرئتين إلى خارج الفم أكبر ، كما أن غرفة الرنين تكون أوسع ، فيتوفر للصوت من القوة فى هذه الحالة ما لا يتوفر له فى الحالتين السابقتين ، ولذا عد المحدثون صوت الفتحة أقوى الحركات جميعاً »[١] .

إذن ليست هناك أية غرابة فى أن تكون اللغة الفصحى قد خالفت بين المنون المنصوب فوقفت عليه بالألف ، وبين المرفوع والمجرور فوقفت عليهما بالسكون ، أو بعبارة أخرى « فأساغت الوقف على المقطع المفتوح بنبر الطول فى حالة النصب ، وفرت منه فى حالتى الرفع والجر »[٢] إلى المقطع المغلق .

هذا مسلك اللغة[٣] النموذجية ، وهناك من القبائل العربيـــة من تعامل المنون المنصوب والمرفوع والمجرور معاملة واحدة ، فقبيلة ربيعة تحـــذف

---

(١) ص ٣٧٧ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

(٢) ص ١٠٣ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى

(٣) وهو بعينه منهج قريش ، انظر ١٤٠ دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح

التنوين مع الفتحة وتقف على المنصوب بالسكون كما تقف على المرفوع والمجرور ، قال شاعرهم الأعشى :

إلى المرء قيسٍ أطيـل السرى — وآخذ من كل حي عِصَمْ[١]

وقال عدى بن زيد :

شئزٍ جنبى كأنى مُهْـدأْ — جعل القينُ على الدفِّ إبَرْ[٢]

ومما جاء على لغتهم أيضاً :

ألا حبذا غُنْمٌ وحسن حديثها — لقد تركت قلبى بها هائماً دَنِفْ[٣]

وعليه قال أهل هذه اللغة فى الوقف : رأيت فرجْ ، ولم يحك سيبويه هذه اللغة ، لكن حكاها الجماعة : أبو الحسن وأبو عبيدة ، وقطرب ، وأكثر الكوفيين[٤] .

ومن غير شك فإن ربيعة حينما وقفت على المنون المنصوب بحذف التنوين والفتحة كانت تبالغ فى تحقيق الغرض العام من الوقف ، وذلك يتمثل فى تحقيق الراحة التامة المتكلم ، والراحة فى السكون لا فى الحركة «[٥] ، وكانت تؤثر المقطع المغلق على غيره فى الوقف فى كل الحالات .

---

(١) ٩٧/٢ الخصائص ، ٢٧٩/٢ شرح الشافية للرضى
(٢) ٩٧/٢ الخصائص
(٣) ١٦٧/٤ ، ١٦٨ هامش الكتاب ، ٢٠٥/٢ همع الهوامع
(٤) ٩٧/٢ الخصائص
(٥) ص ٤١٢ أسرار العربية لابن الأنبارى ط دمشق ١٩٥٧ م

وإذا كانت اللغة النموذجية قد صادفت التخفيف فى قلب التنوين ألفا ، فإن لهجة ربيعة كانت قد بلغت الغاية فيه عندما حذفت تلك النون ، « ذلك لأن حذفها مع حذف الفتحة قبلها أخف من بقائها مقلوبة ألفاً معها »[1] ، فمهما كانت الفتحة خفيفة فهى حركة ، « والحركة زيادة مستثقلة بالنسبة إلى السكون ، فلا يؤتى بهما إلا لضرورة تدعو إلى ذلك »[2] ، وكذلك التنوين فهو حرف زائد جيء به للدلالة على الأمكنية لا غير ، ولم يحفل به الرسم والخط ، ولذا لم يكن وجوده حتميا فى حال الوقف .

وهذه اللهجة المنقولة عن ربيعة هى التى شاعت فى العربية الدارجة التى يتكلم بها العرب فى شتى الأقطار العربية ، وكما أن لغة الكلام العادى هذه لا تعدو أن تكون لغة متطورة عن العربية الفصحى ، فلا يبعد أن تكون لهجة ربيعة كانت قد تطورت عن اللغة النموذجية فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام ، لاسيما أن ذلك يتفق مع قانون تطور اللغات بميلها إلى السهولة والتخفيف .

العلامة الخطية للسكون :

علامة السكون — كما قال أبو حيان — خاء فوق الحرف ، جعلها سيبويه

---

(١) ٢٧٩/٢ شرح الشافية للرضى

(٢) ص ١٠٣ إحياء النحو للاستاذ إبراهيم مصطفى

هكذا (خ) ، والمراد خف أو خفيف ، وناقشه الوضع فقال إنما هي رأس جيم ، أو رأس ميم ، وكلاهما مختصر من أجزم اهـ .

والظاهر أنها رأس حاء مهملة مختصرة من استرح لما مر من أن الوقف استراحة ، وجعلها بعض الكتاب دائرة ، لأن الدائرة صفر ، وهو الذى لاشيء فيه من العدد ، وجعلها بعضهم دالا ، وكأنهم لما رأوها بغير تعريف ظنوها دالا » (١)

ومن الثابت تاريخيا أن السكون لم توضع له علامة خطية فى القرن الأول الهجرى ؛ لأن المصاحف العثمانية كانت قد كتبت فى سنة ٢٥ أو ٣٠هـ بالخط الكوفى ، ولم تكن الكتابة العربية فى ذلك الوقت قد عرفت الشكل الضابط ، وظلت كذلك حتى كانت محاولة أبى الأسود الدؤلى (ت ٦٩هـ) لضبط المصحف بالشكل ، وذلك أنه أحضر كاتبا وأمره أن يتناول المصحف وأن يأخذ صبغا يخالف لون المداد ، فيضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه ، وتحت الحرف إذا رآه يخفض شفتيه ، وبين يدى الحرف إذا رآه يضم شفتيه ، أما إذا أتبع الحرف الأخير غنة فينقط نقطتين فوق بعضهما ، وأما الحرف الساكن فقد تركه(٢) :

ولذا فإننا نرجح أن الذى وضع(٣) علامة السكون هو الخليل بن أحمد ،

---

(١) ٢/٣٤٠ - ٣٤١ شرح التصريح على التوضيح

(٢) انظر - ٢ ، قصة الكتابة العربية - إبراهيم جمعة - ط دار المعارف المصرية

(٣) يراجع مقال « الكتابة العربية بين نموها الرأسى ونمو أفقى مقترح

وأن العلامة التي ذكرها سيبويه وهي رمز الخاء[٣] أصل هذه العلامات المذكورة ، وأنه قد حدث شيء من التصحيف والتحريف لهذا الرمز ، فكتب رأس جيم أو ميم أو حاء أو دالا أو دائرة مفرغة ، وقد يؤكد ذلك النظر في اصطلاحات الضبط الموجود في خاتمة بعض المصاحف حيث جعلت علامة السّكون رأس خاء صغيرة بدون نقطة هكذا (ح) ، وهي توضع فوق الحرف لتدل على سكون ذلك الحرف ، وعلى أنه مظهر بحيث يقرعه اللسان[٣] . فخلو العلامة من النقطة يظن أنه قد تسبب في قراءتها محرفة أو مصحفة .

ولا يغيب عن بالنا أن علامة السكون المشار إليها ليست خاصة بالحرف المسكن من أجل الوقف ، بل هي علامة على إسكان الحرف أينما وقع ، وعلامة على الحرف الموقوف عليه بالسكون أيضا ، وقد خلت نهايات الفواصل القرآنية منهما ـ مع أن الوقوف على رءوس الآى سنة متبعة كما أسلفنا ـ مراعاة للوصل ؛ « لأن حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف

، للدكتور خليل عساكر ، وهو في ٩٨/١ السجل العلمي للنـــدوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها ط الرياض ١٩٨٠م

(١) ينظر ١٦٩/٤ الكتاب

(٢) ينظر اصطلاحات الضبط بذيل مصحف المدينة المنورة ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة ، وهى إنما تجنى من الجمل ومدارج القول»(١) ، ولأن بعض(٢) القراء كان يعد القرآن كله كالسورة الواحدة ، فيوصل السورة بالسورة ، ولا يعتمد وقفا معينا ، وإنما يقف عند انقطاع النفس .

---

(١) ٢/٣٣١ الخصائص

(٢) ١/٢٣٨ النشر فى القراءات العشر

الفصل الثالث

الوقف بالإشمام

الإشمام من المصطلحات المشتركة ، فقد يطلق ويراد به خلط حركة بحركة كما في نحو (قيل) ، وقد عرفه بعض النحويين بأنه عبارة عن « النطق بحركة تامة مركبة من حركتين إفرادا لاشيوعا ، وجزء الضمة مقدم وهو الأقل ، يليه جزء الكسرة وهو الأكثر »[1] ، ومن مواضعه أول الفعل الثلاثي المعتل الوسط ، الماضي المبني للمفعول .

وقد يطلق أيضا ويراد به خلط حرف بحرف ، أو بعبارة أخرى إشمام صامت رائحة صامت آخر ، وذلك ما عبر عنه سيبويه بالمضارعة ، وعقد له بابا في آخر الكتاب ، قال فيه : « فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال ، وذلك نحو : مصدر ، وأصدر ، والتصدير ، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي ؛ لأنها مجهورة غير مطبقة ، ولم يبدلوها زايا خالصة ، كراهيـة الإجحاف بها للاطباق ، كما كرهوا ذلك فيما ذكرت لك من قبل هذا »[2]

---

(١) ١/٢٩٤ شرح التصريح على التوضيح

(٢) ٤/٤٧٧ ، ٤٧٨ الكتاب

وهذا النوع من الإشمام موضعه الصاد الساكنة الواقعة قبل الدال ، يعنى لا يكون إلا فى وسط الكلمة ؛ لأن الصاد الساكنة لا تقع أولا ؛ إذ لا يبتدأ فى اللغة العربية بساكن .

وهذان المعنيان غير داخلين معنا فى الحديث عن الإشمام الذى هو أحد أوجه الوقف على أواخر الكلمات ، ذلك لأن أحدهما يقع فى أول الكلمة ، والآخر لا يكون إلا فى الوسط ، فهما حالتان من حالات الوصل .

أما الإشمام الخاص بالوقف فهو مرتبط بآخر الكلمة ، بل بنوع مخصوص من ذلك الآخر ، وهو الذى كان منتهيا فى حالة الوصل بضمة إعرابية أو بنائية غير عارضة ، أما فى حال الوقف فتحذف هذه الضمة ويشار إليها باستدارة الشفتين فقط ، أى لا ينفك الوقف بالإشمام عن الوقف بالسكون وليس العكس صحيحا ، إذ قد يوقف بالسكون دون الإشمام ، بل هو الصفة « التى انتظمت معظم القبائل العربية ، وجرت على ألسنتهم جميعا ، ولم تكن تقل أهمية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات فى حالة الوصل ، ولم تكن أقل شيوعا أو دورانا فى أفواه الناس من ظاهرة الوصل »[1] :

فالوقف بالإشمام هو الوقف بالسكون تصحبه استدارة الشفتين للدلالة على الضمة التى كانت فى حال الوصل وحذفت من أجل الوقف ، وقد عرفه

---

(١) ٢٣٦ من أسرار اللغة

الرضى فى شرح الشافية بقوله : « الإشمام : تصوير الفم عند حذف الحركة بالصورة التى تعرض عند التلفظ بتلك الحركة ، بلا حركة ظاهرة ولاخفية »[١] ، والمقصود بالحركة فى هذا التعريف الضمة الإعرابية أو البنائية غير العارضة ؛ فلو كانت الضمة منقولة من كلمة أخرى أو مجتلبة للتخلص من التقاء الساكنين أو كانت فى غير الحرف الأخير ولو تقديراً، لا يوقف عليها بالإشمام ، وكذا ميم الجمع وهاء التأنيث ، لا يوقف عليهما بالإشمام لسكونهما (٢) .

وقريب من التعريف السابق قول ابن الجزرى « الإشمام أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة » (٣) .

والمراد أن تضم شفتيك بعد الإسكان وتدع بينهما بعض الإنفراج لتخرج منه النفس ، فيراها المخاطب مضمومتين ، فيعلم أنك أردت بضمهما الحركة ، فهو شىء يختص بإدراك العين دون الأذن ؛ لأنه ليس بصوت يسمع ، بل هو تحريك عضو (٤) .

ويتضح هذا أكثر إذا عرفنا أن العناصر النطقية فى حركة الضمة أربعة هى :

---

(١) ٢/٢٧٥ شرح الشافية

(٢) ٢/٢٧٨ ، ٢٧٩ من السابق

(٣) ٢/١٢١ النشر فى القراءات العشر

(٤) ٢/٣٤١ شرح التصريح

١ — استدارة الشفتين .

٢ — وضع اللسان بإزاء الطبق .

٣ — ذبذبة الأوتار الصوتية .

٤ — بقاء هذا الوضع مدة معينة (زمن الحركة) :

هذه هى الصفات المثالية للضمة ، ويمكن أن تتحقق بها جميعا ، كما يمكن أن تتحقق ببعضها دون بعض ، غير أن العنصر الرئيسى فى تكوينها إنما هو وضع اللسان ، فإذا تحقق مع الجهر كان عندنا صوت ضمة ، وإذا فقدت هاتان الصفتان كان عندنا شكل ضمة ناتج عن استدارة الشفتين ، وهذه الضمة الأخيرة هى المقصودة بالإشمام ، فتعريف الإشمام في الحقيقة هو تصوير الضمة باستدارة الشفتين »[1] .

إذن الإشمام ليس صوتا أو حركة تسمعها الأذن ، وإنما هو « تصوير مخرج الحركة »[2] ببعض الأعضاء المشتركة فى تكوينها ، أو بعبارة أخرى هو « الرمز إلى الحركة بالشفتين »[3] من غير تصويت بها، ومن ثم قال سيبويه : « وإشمامك في الرفع للرؤية ، وليس بصوت للأذن ،

(١) ٣٦٩ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

(٢) ٢٧٦/٣ شرح الرضى على الشافية

(٣) ٢٢٢ من أسرار اللغة

ألا ترى أنك لو قلت : هذا معْنٌ ، فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم »[1]

هذا هو رأى البصريين ، وهو المشهور عند أهل العربيـة ، وبه أخذ القراء كأبى عمرو وحمزة والـكسائى وخلف ، كما روى عن عاصم وأبى جعفر وصار الأخذ به مختاراً لجميع الأئمة ، سائغا لجميع القراء ، أما الذى نسب إلى الـكوفيين من أن الإشمـام هو الصوت ، وهو الذى يسمع ، لأنه عندهم بعض حركة،والروم هو الذى لا يسمع ،لأنه روم الحركة من غير تفوه به» [2] فهو اصطلاح خاص بهم فى التسمية ، ولا مشاحة فى التسمية إذا عرفت الحقائق .

ويبقى سؤال مهم وهو لمـاذا يقع الإشمام فى المرفوع والمضموم دون المنصوب والمجرور ؟

سيبويه يجيب عن ذلك بقوله « فأنت قد تقدر على أن تضـع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ثم تضم شفتيك ، ولا تقدر على [أن تفعل] ذلك ثم تحرك موضع الألف والياء »[3] .

يفهم من كلامه أن الشفتين تلعبان دورا بارزا فى نطق الضمة ، والدليل على ذلك أنه قد نسب الواو — والضمة بعض الواو — إلى الشفتين باعتبارها

---

(١) ١٧١/٤ الـكتاب

(٢) ١٢٢/١ النشر فى القراءات العشر

(٣) ١٧١/٤ الكتاب

مخرجا (١) لها ، فكذلك الضمة عند سيبويه ومن تابعه كابن جنى مثلا مخرج من الشفتين أو على الأقل تشتركان فى إخراجها ، وهذا المخرج أعنى الشفتين حر الحركة ، ويستطيع الناطق أن يتحكم فى تحريكه كيفما شاء ، فتحريك الشفتين بضمهما أى بجعلهما مستديرتين كتحريك بعض الجسد كما قال سيبويه (٢) .

أما مخرج الفتحة — وهى بعض الألف — فهو أقصى الحلق عند سيبويه وابن جنى ، ومخرج الكسرة عندهما — وهى بعض الياء — من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ، وهذان المخرجان لا يمكن للناطق أن يتحكم فى تحريكهما دون النطق بما يخرج منهما ، ولذا كان الإشمام غير ممكن معهما ، لعدم مرونتهما من ناحية ، ولعدم إدراك عين المخاطب لهما من ناحية أخرى ، لأنهما أى الحلق ووسط اللسان والحنك « محجوبان بالشفتين والسن ، فلا يمكن المخاطب إدراك تهيئة المخرجين للحركتين »(٣) ، وقد أدرك ذلك السيوطى عندما قال : « ولا يكون الإشمام فى المنصوب والمجرور ؛ لأن الفتحة من الحلق ، والكسرة من وسط الفم ، ولا تمكن

---

(١) ينظر ٤٣١/٤ الكتاب ، ٥٣/١ سر صناعة الإعراب الأصل والهامش

(٢) ١٧١/٤ الكتاب

(٣) ٢٧٦/٢ شرح الرضى على الشافية

الإشارة لموضعهما »(١) .

فالشفتان من وجهة نظر النحويين لا تلعبان دورا مع الفتحة والكسرة كالدور الذى تقومان به مع الضمة ، وهذا خلاف المقرر لدى المحدثين من أن الشفتين تلعبان دورا موحدا فى تشكيل الحركات الثلاث ، وكل ما هنالك من فرق هو اختلاف وضعهما مع كل واحدة منها ، حيث(٢) تستديران مع الضمة ، وتنفرجان مع الكسرة ، وتكونان فى وضع محايد مع الفتحة ، والفرق بين الانفراج والمحايدة ليس كبيرا ، ويمكن أن تخطئه العين فى إدراكه ، فيلتبس أحدهما بالآخر ، بخلاف الاستدارة فهى واضحة مميزة عنهما ، ولذلك اتخذت دليلا على الضمة فى حالة عدم النطق بها .

فالإشمام إذن غير ممكن فى الفتحة لعجز الحلق عن تصويرها ، وغير ممكن فى الكسرة لعجز اللسان والحلك عن تصويرها من وجهة نظر سيبويه ، ولعجز(٣) الشفتين عن تصويرها من جهة أخرى ، قال السيوطى مدركا ذلك : « وإنما لم يمكن الإشمام فى الفتحة والكسرة ؛ لأن الإشارة إليهما فيها تشويه لهيئة الشفة » (٤) .

---

(١) ٢٠٧/٢ همع الهوامع ، وقارن مع ٢٣ كتاب أسرار العربية ط ١٣٠٢هـ - ١٨٧٦ م

(٢) ينظر ١٨٨ علم اللغة العام ـ القسم الثانى : الأصوات ، ٣٥ الأصوات اللغوية .

(٣) ٣٧٠ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

(٤) ٢٠٧/٢ همع الهوامع

وهكذا نرى أن العلة فى إمكانية الإشمام فى المرفوع والمضموم ، وعدم إمكانيته فى المنصوب والمجرور علة صوتية ترجع فى المقام الأول إلى سهولة تصوير مخرج الضمة من غير تصويت بها ، وإلى صعوبة تمثيل مخرج الفتحة والكسرة دون النطق بهما ، وفضلا عن ذلك سرعة إدراك العين لوضع الشفتين مع الضمة ، وعدم تمييزها بسهولة لشكلهما مع الفتحة والكسرة .

وقد يكون من تمام الحديث أن نذكر هنا أن الإشمام ليست له قيمة بالنسبة للأعمى إلا أن يباشر بيده فم الواقف ، ولا للمبصر عند الإظلام، لأن الغرض منه إعلام المخاطب بنوع الحركة الموقوف عليها من غير تصويت بها .

والإشمام وسيلة تعليمية يستخدمها الأستاذ ليرشد بها تلاميذه المبصرين بحركة ذلك الحرف الموقوف عليه كيف كانت فى الوصل ، أو يستخدمها التلميذ المتعلم ليظهر لأستاذه المبصر أنه يتقن ذلك النوع من الوقف بالإشمام، أما إذا كان القارىء بمفرده لم يكن له فى الوقف بالإشمام فائدة ، لأنه غير محتاج إلى ن يبين بنفسه نوع الحركة التى كانت على الحرف الموقوف عليه فى الوصل ، اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التجربة .

ولذا يرجع بعض العلماء الوقف بالإشمام إلى اختراع القراء ، ويقول إن الغرض منه "إنما هو « هدى الناشئين إلى حركات الإعراب فى أواخر الآيات »[1] .

---

(١) ٢٢٣ من أسرار اللغة

هذا وسياق الحديث عن الإشمام فى الكتاب[١] لسيبويه يفهم أن الإشمام كان من الأوجه التى يقف بها بعض العرب ، وقد وضعت له علامة خطية وهى النقطة كالتى فى قولك : هذا خالدْ ، وهذا فرجْ ، وهو يجعلْ .

وقد صرح أبو عمرو الدانى[٢] بأن الخليل بن أحمد هو الذى وضع علامة الإشمام .

---

(١) ينظر ٤/١٦٨ إلى ١٧٢ من الكتاب

(٢) كتابة النقط ص ١٢٩ وهو مطبوع مع كتابه المقنع فى رسم مصاحف الأمصار

الفصل الرابع

الوقف بالروم

الروم هو أحد الأوجه التي يجوز أن يوقف بها « على أواخر الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف » كما جاء في الكتاب لسيبويه ، وتلك الأوجه هي : السكون التام ، والإشمام ، والروم ، والتضعيف .

وقد اختلف اللغويون والنحاة من جانب والقراء من جانب آخر في تفسير الروم ، وفيما يدخله من الحركات ، وفي علاقته بما يسمى الاختلاس ، وسنبين ذلك فيما يلي :

أولا : رأي النحويين واللغويين :

علماء النحو واللغة لا يفرقون بين الروم والاختلاس في المفهوم ، فكلاهما معناه إخفاء الحركة ، أو إضعافها ، أو الإتيان بها ناقصة غير تامة ، وذلك نتبينه من التعريفات الآتية :

١ - يقول ابن يعيش : وأما الروم فصوت ضعيف ، كأنك تروم الحركة ولا تتمها وتختلسها اختلاسا (١) .

---

(١) ٩/٦٧ شرح المفصل

٢ ـ ويقول الرضى : الروم الإتيان بالحركة خفية حرصاً على بيان الحركة التى تحرك بها آخر الكلمة فى الوصل[١] .

٣ ـ ويقول الشيخ زكريا الأنصارى : الروم هو أن تأتى بالحركة خفية ، أى بصوت ضعيف ، كأنك تروم الحركة ولا تتمها ، بل تختلسها تنبيها على حركة الوصل مع تحصيل بعض الغرض من الوقف[٢] .

٤ ـ ويقول الشيخ خالد الأزهرى : الروم هو إخفاء الصوت بالحركة ، فلا يتمها بل يختلسها اختلاساً تنبيها على حركة الأصل، قاله الجاربردى[٣] .

هكذا نجدهم يسوون بين الروم والاختلاس فى المعنى الذى هو إنقاص الحركة الموقوف عليها بالتقليل من كميتها « فالفرق بين الحركة فى هذه الظاهرة والحركة العادية فرق كمية لا أكثر ولا أقل ، وعلى هذا يكون هناك ثلاثة أنواع من الحركات : أقصرها حركة هذه الظاهرة ، يليها الحركة المألوفة لنا ، يليها ألف المد أو واو المد أو ياء المد »[٤] .

والمتفحص لمصطلحى الروم والاختلاس يجد أن الأول يعنى الاتجاه إلى تحصيل الحركة من غير وصول إلى الحركة التامة ، أما الثانى وهو

---

(١) ٢/٢٧٥ شرح الرضى على الشافية

(٢) ٢/٣٠٧ المناهج الكافية شرح الشافية

(٣) ٢/٣٤١ شرح التصريح على التوضيح

(٤) ص ٢٢٢ من أسرار اللغة

الاختلاس فهو عبارة عن إنقاص الحركة المشبعة والاتجاه بها نحو السكون من غير وصول إلى السكون التام .

وقد ألمح إلى ذلك عبقرى اللغويين ابن جنى عندما قال « ومن ذلك إضعاف الحركة لتقرب بذلك من السكون نحو أحيِىَ وأعيِىَ ، فهو وإن كان مخفى بوزنه محركا . . . فأما روم الحركة فهى وإن كانت من هذا فإنما هى كالإهابة بالساكن نحو الحركة ، وهو لذلك ضرب من المضارعة ، وأخفى منها الإشمام ، لأنه للعين لا للأذن »[1] .

وحديث ابن جنى عن الإخفاء والروم جاء فى سياق الكلام عن الإدغام بمعناه العام وهو التقريب ، وذلك يدخل فيه تقريب الصامت من الصامت ، وتقريب الحركة من الحركة ، ويشمل أيضاً — كما فى النص السابق — تقريب الحركة من السكون وذلك يعبر عنه باختلاس الحركة أو إخفائها أو إضعافها ، ويشمل كذلك تقريب السكون من الحركة مثلما يحدث فى الروم ، وذلك ظاهر من كلام ابن جنى ، ومن المعنى اللغوى للروم وهو طلب الحركة ، إذ يقال « رامه يرومه روما ومراما : طلبه »[2] .

فالروم وإن كان يشارك الاختلاس فى كونه بعض حركة إلا أنه يختلف عنه فى أنه إنشاء بعض الحركة ؛ لأن الأصل فى الوقف أن يكون

---

(١) ٢/١٤٤ - ١٤٥ الخصائص

(٢) ١/٣٩٧ المعجم الوسيط « روم »

بالسكون التام ، فإذا عنّ للواقف أن يشير إلى الحركة زاد على السكون بعض حركة من جنس التى كانت فى حال الوصل ، بدليل أن الذى يقف بالروم لو أفرط فى رومه لوصل إلى الحركة الكاملة ، أما الاختلاس فهو إنقاص الحركة ، يدل على ذلك أن المختلس لو أفرط فى اختلاسه الحركة لأداه ذلك إلى السكون التام ، وقديماً نشأت مشكلة بين النحويين والقراء بصدد ما أثر من قراءة أبى عمرو بن العلاء ، يقول ابن جنى : « ألا ترى إلى قراءة أبى عمرو « مالك لا تأمننا على يوسف » (١) مختلساً لا محققاً ، وكذلك قوله عز وجل: « أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى »[٢] مخفى لا مستوفى ، وكذلك قوله عز وجل : « فتوبوا إلى بارئكم »[٣] مختلساً غير ممكن كسرة الهمزة ، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من القراء الذين رووه ساكنا »[٤]، فالنحويون ومنهم سيبويه ، واللغويون ومنهم ابن جنى يضبطون قراءة أبى عمرو بأنها لا تعدو أن تكون اختلاساً للحركة الإعرابية فى (تأمننا ـ يحيي ـ بارئكم) بقصد التخفيف ، لأنه

---

(١) يوسف ١١
(٢) القيامة ٤٠
(٣) البقرة ٥٤
(٤) ١/٧٢ الخصائص لابن جنى

لا مبرر لحذفها بالمرة ، أما القراء ومنهم اليزيدى فقد رووا أن أبا عمرو كان يسكن الأواخر ويحذف تلك الحركة كراهية لتوالى الحركات (١) .

ولعله قد وضح الفرق بين الروم والاختلاس من حيث إن الأول إنشاء حركة ناقصة أو ضعيفة أو خفية فى الموضع الذى يصح فيه الوقف بالإسكان ومن حيث إن الثانى إنقاص الحركة فى الموقع الذى ينبغى فيه أن تكون تامة ، والإفراط فى انتقاصها يؤدى إلى السكون التام « والإسكان فى موضع التحريك محكى عن لغة تميم » (٢) .

وثمة فرق آخر وهو أن الروم خاص بآخر الكلمة فى حال الوقف ، أما الاختلاس فيكون فى حال الوصل أيضاً كما ترشد إلى ذلك قراءة أبى عمرو للآيات .

وغير خاف على أحد أن الروم عند النحويين البصريين (٣) يفترق عن الإشمام فى أمرين :

الأول : هو أن الإشمام ليس بصوت ، وإنما هو الإشارة إلى الضمة باستدارة الشفتين ، ويدركه البصير دون الأعمى أو بعبارة أخرى تدركه

---

(١) انظر ٧٧ ، ٧٨ الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه

(٢) ص ٦٨ جـ ٢٧ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة « قول فى الإعراب » لمحمد شوقى أمين

(٣) الكوفيون يقولون بعكس رأى البصريين . ينظر ٢/١٢١ النشر

العين لا الأذن ، أما الروم فهو التصويت ببعض الحركة والإدراك فيه للأذن .

الثانى : أن الإشمام لا يقع إلا فى المرفوع أو المضموم ، أما الروم فيقع فى الحركات[1] الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة ، ولكنه « فى المفتوح ليس بحسن لأنه غير مضبوط لخفاء الألف »[2] « ويحتاج إلى رياضة لخفة الفتحة وتناول اللسان لها بسرعة » [3] .

ثانياً : رأى القراء :

لعل أجمع النصوص التى توضح رأى القراء فى معنى الروم وعلاقته بالاختلاس ذلك الذى أورده صاحب الإتحاف قائلا« أما الروم فهو الإتيان ببعض الحركة وقفا ، فلذا ضعف صوتهـا لقصر منها ، ويسمعها القريب المصغى ، وهو معنى قول التيسير [4] : هو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صوتاً خفياً، وهو عند القراء غير الاختلاس وغير الإخفاء، والاختلاس والإخفاء عندهم واحد ، ولذا عبروا بكل منهما عن الآخر .

---

(١) الحركة العارضة، وحركة ميم الجمع ، لا يشار إليهما بروم ولا إشمام لذهابهما عند الوقف أصلا ، وكذلك هاءات التأنيث لا ترام ولا تشم لكونها ساكنة ولا حظ لها فى الحركة . ينظر : ص ٧٦ تحبير التيسير

(٢) ص ٢١ المقصد لتلخيص ما فى المرشد من الوقف والابتدا

(٣) ٢/٢٠٧ همع الهوامع

(٤) ص ٧٥ تحبير التيسير لابن الجزرى

والروم يشارك الاختلاس فى تبعيض الحركة ، ويخالفه فى أنه لا يكون فى فتح ولا نصب ، ويكون فى الوقف فقط ، والثابت فيه من الحركة أقل من الذاهب ، والاختلاس يكون فى كل الحركات ، ولا يختص بالوقف ، والثابت فيه من الحركة أكثر من الذاهب ، وقدره الأهوازى بثلثى الحركة ، ولا يضبطه إلا المشافهة »[1] .

وهذا النص يضع أيدينا على أهم الفروق بين وجهة نظر اللغويين والقراء ويمكن تلخيص ذلك فيما يلى :

١ — يتطابق رأى الجميع فى أن الروم لا يكون إلا فى الوقف ، وأن الاختلاس يكون فى الوقف والوصل .

٢ — يرى جمهور اللغويين والنحويين أن الروم والاختلاس يدخلان أو يتحققان فى كل الحركات فيما عدا الفتحة المنونة التى تبدل ألفاً فى الوقف فى اللغة النموذجية ، أما قبيلة ربيعة التى تتخلص من الفتحة والتنوين وتقف بالسكون فلا مانع[2] عند من يقلدها أن يقف بالروم أيضاً .

أما جمهور القراء فيفرقون بين الروم والاختلاس ، فيمنعون أن يقع الروم فى كل مفتوح ومنصوب ، ووافقهم على ذلك الفراء وأبو حاتم ؛ لأن روم الفتحة « يشبه الثوباء فيفضى إلى تشويه صورة الفم »[3] ،

---

(١) ص ١٠١ إتحاف فضلاء البشر

(٢) ينظر ٢/٢٧٥ شرح الشافية للرضى

(٣) ٢/٣٤١ شرح التصريح على التوضيح

أو « لأن الفتح لا جزء له لخفته ، وجزؤه كله » (١) ، ويجيزون الاختلاس في كل الحركات .

٣ ـ لم يفرق علماء اللغة والنحو بين الروم والاختلاس من ناحية الكمية ولم يرد عنهم تحديد لها ـ فيما أعلم ـ إلا في وصف السيوطي لحركة الروم بأنها « تكون حالة متوسطة بين الحركة والسكون » (٢) أي نصف حركة قصيرة عادية تنطق بسرعة . أما علماء القراءات فيرون أن الثابت في حركة الروم أقل من الذاهب أي أنها تقل في الكمية عن نصف حركة عادية ، بينما تبلغ الحركة المختلسة مقدار ثلثي الحركة العادية ، وهذا كله يحتاج في ضبطه إلى المشافهة .

٤ ـ الزمن الذي يستغرقه النطق بحركة الروم أقل منه في النطق بالحركة المختلسة عند القراء ، وزمن الأخيرة عندهم أقل من زمن الحركة التامة .

التحليل الصوتي للروم :

من المعلوم أن أية حركة كاملة لابد أن تتوافر فيها العناصر النطقية الآتية :

١ ـ وضع اللسان بالنسبة لسقف الحنك الأعلى ، أي مراعاة درجة ارتفاعه وانخفاضه مع تحديد الجزء الذي يرتفع وينخفض ،

---

(١) ٢/٢٧٥ شرح الشافية للرضي

(٢) ٢/٢٠٧ همع الهوامع

٢ ــ هيئة الشفتين من حيث الضم والانفراج والمحايدة .

٣ ــ ذبذبة الوترين الصوتيين .

٤ ــ بقاء هذا الوضع مدة زمن الحركة .

هذه هي العناصر الضرورية للنطق بالفتحة أو بالكسرة أو بالضمة كاملة ، فإذا نقص الزمن الذى يستغرقه النطق بالحركة الكاملة ، وانعدمت ذبذبة الوترين الصوتيين كان الناتج حركة مهموسة ، ولذا وصفت بأنها أضعف صوتا أو أخفى صوتا من الحركة الكاملة ، وكان الناتج حركة قصيرة من حيث الزمن .

(ومعنى ذلك أن الحركة فى الروم أو فى الاختلاس تكون أقصر زمناً كما تفقد عنصر الجهر بسبب إضعاف الصوت بها ، مثلما يحدث فى حالة « الإسرار أو الوشوشة » ، ويبقى لها وضع اللسان وشكل الشفتين واندفاع الهواء فى مجرى الصوت ، مع قصر نسبي في المدة التي يستغرقها النطق بها)(١) .

فالفرق بين الحركة فى الروم والاختلاس وبين الحركة الكاملة حاصل فى الكمية وفى الجهر ، وليس فى الكمية فقط كما قد يفهم من كلام بعض المحدثين(٢) .

---

(١) ص ٣٧٠ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

(٢) ينظر ٢٢٢ من أسرار اللغة

الغرض من الروم :

١ - يقول سيبويه فى بيان الغرض من الروم : « وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال ، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال ، وكذلك الذين أشموا ، إلا أن هؤلاء أشد توكيدا »[١] ، فالذى يقف بالروم أو بالإشمام إنما يرمى إلى تنبيه السامع على أن الموقوف عليه حرف متحرك فى الوصل ، وفى ذلك أيضا دلالة على نوع تلك الحركة .

٢ - يضاف إلى ذلك شىء آخر وهو أن الغرض من الوقف بالروم تحقيق التخفيف بحذف الحركة ؛ « لأن الحركة زيادة مستثقلة بالنسبة إلى السكون ، فلا يؤتى بها إلا لضرورة تدعو إلى ذلك »[٢] ، وحيثما يقتضى المقام إثبات بعضها دون البعض الآخر ، يكون ذلك أنسب من حذفها بالمرة ، ومن إثباتها كاملة ، « فإشباع الحركة والحرف أو إدغامهما من أصول العربية ، وإن العربية لم تأخذها عنوة أو جفوة ، ولكن افضل معنى ، وقوة بيان » (٣) .

٣ - هذا وربما كان الغرض من الوقف بالروم نحويا إذا كان الإسكان

---

(١) ٤/١٦٨ الكتاب لسيبويه
(٢) ص ١٠٣ إحياء النحو نقلا عن ابن يعيش فى شرح المفصل
(٣) ص ١٢٩ ج ٢٩ مجلة مجمع اللغة العربية

يمس وجه الإعراب بشيء من الشبهة ، وذلك كما في الآية الكريمة « فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير »(١) والآية « وفوق كل ذى علم عليم »(٢)، إذ لو وقف عليهما بالسكون التام ربما توهم من قلت درايته بعلم النحو أن الفاصلتين مجرورتان ، مع أنهما مرفوعتان ، لسكون الأولى خبراً لإن ، ووقوع الثانية مبتدأ ، ولايخلو ذلك من الشهادة بالصلة بين حركات الإعراب وهى أدلة على المعانى وبين الوقف بالروم (٣) .

٤ ـ ويمكن أن يكون الغرض من الوقف بالروم فى بعض المواقع صرفيا ، كأن يفصل بعض الحركة بين المذكر والمؤنث ، وذلك فى كل ما له صورة واحدة فى التذكير والتأنيث عند الوقف عليه بالسكون ، كالتاء والكاف المتصلتين عندما يكونان ضميرين للمخاطب أو المخاطبة ، ومثلهما أنتَ وأنتِ ، وإياكَ وإياكِ ، قال ابن يعيش مثبتا بعض ذلك: (ألا تراك تفصل فيه (فى الروم) بين المذكر والمؤنث فى أنتَ وأنتِ ، فلولا أن هناك صوتا لما فصلت بين المذكر والمؤنث » (٤) .

تاريخ الروم وعلامته :

لقد كان ماذكره ابن الجزرى فى كتابه النشر (٥) من أن القراء « لم

---

(١) القصص ٢٤ (٢) يوسف ٧٦

(٣) ينظر ص٩٠ إحياء النحو

(٤) ٦٧/٩ شرح المفصل لابن يعيش ، وأصل العبارة فى ٣٢٨/٢ من الخصائص

(٥) ٢٩٧/١ النشر فى القراءات العشر

يعول منهم على الروم والإشمام إلا حاذق قصد البيان والتعليم » موجها إلى بعض (١) علماء اللغة فى العصر الحديث بأن الروم والإشمام لا يمتان إلى وقف العرب على الكلمة بصلة ما ، وأنهما من الوسائل التى اخترعها القراء فيما بعد لهدى الناشئين إلى حركات الإعراب فى أواخر الآيات ، وقد انساق وراء ذلك الرأى البعض معززا إياه بأن «العرب قوم ينطقون على سجيتهم فعندما يقفون لا يحسبون حسابا للحركة التى يقفون عليها ، يحملهم يشيرون إليها بحركة عضلية من الشفاه كتلك التى تكون فى الإشمام ، وأن العربى يقصد من وراء وقفه إلى الراحة ، وأية راحة يحصل عليها من رومه للحركة ؟ فنطقها أو إخراجها دفعة كما تعود عليه فى الوصل أسهل من تعمد إضعافها » (٢) .

وليس ذلك الرأى من القوة بمكان ، لأن الثقات من العلماء قد صرحوا بنقل الروم والإشمام عن العرب ، وأنهما من الأوجه المحكية عنهم فى وقوفهم ، قال سيبويه « حدثنا بذلك عن العرب الخليل وأبو الخطاب » (٣) ونصوا أيضا على أنه قد وردت بهما الرواية عن الكوفيين وأبى عمرو ، وأنهما من الاختلاف الأدائى الذى ثبت تواتره كما نص على ذلك أئمة

---

(١) ص ٢٢٣ من أسرار اللغة ، وقارن مع ٣٧٤ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

(٢) ٣٧٨ - ٣٧٩ اللهجات فى الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية

(٣) ٤/١٦٩ الكتاب

الأصول ؛ لأن القراءة سنة متبعة ، والرواية تصلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضاف إلى ذلك أن من نقلهما أو قرأ بهما من الثقات ، وقد قال[1] ابن الجزرى : ماتقله ثقة ولا وجه له فى العربية قليل جدا ، بل لايكاد يوجد ، فنقل الخليل بن أحمد للروم عن العرب ، ووضعه له علامة خطية هكذا (ـــ) ، وقراءة أبى عمرو به يدلان دلالة قاطعة على ثبوته عن بعض العرب .

---

(١) ينظر النشر ١/١٦ ، ١٧ ، ٣٠ ، وتحبير التيسير ص ٧٥

الفصل الخامس

الوقف بالتضعيف

تمهيد في الحديث عن المصطلح :

الوقف بالتضعيف قد يقال له الوقف بالتثقيل[1] ، وقد جرى سيبويه في الكتاب على استعمال المصطلحين ، فقال في أحد المواضع « ومن العرب من يثقل الكلمة إذا وقف عليها ، ولا يثقلها في الوصل »[2] ، وذكر المصطلح الآخر وهو التضعيف في كتابه عدة مرات ، فقال مبينا كيفية الوقف على المرفوع والمضموم : « فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه : بالإشمام ، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن وبأن تروم التحريك ، وبالتضعيف » [3]

وقال في بيان الوقف على المنصوب والمجرور « وأما ما كان في موضع نصب أو جر ، فإنك تروم فيه الحركة وتضاعف وتفعل فيه ماتفعل بالمجزوم على كل حال»[4] ، وقال في بيان علامة الوقف بالتضعيف « وللتضعيف

---

(١) ٢٠٧/٢ همع الهوامع
(٢) ٢٩/١ الكتاب
(٣) ١٦٨/٤ السابق
(٤) ١٧١/٤ السابق

الشين »(١) ، وأوضح بالمثال أن الوقف بهذا الوجه استعملته العرب ، فقال « وأما التضعيف فقولك : هذا خالدّ ، وهو يجعلّ ، وهذا فرجّ ، حدثنا بذلك الخليل عن العرب »(٢) ، وقال في مثال المجرور والمنصوب « وأما التضعيف فهو قولك : مررت بخالدّ ، ورأيت أحمدّ »(٣).

هكذا نجد سيبويه استعمل مصطلح (التثقيل) و (التضعيف) في الدلالة على أحد وجوه الوقف على أواخر الكلم المتحركة في الوصل ، لكن تكرار الثاني يوحي بأنه المصطلح الدقيق ، لكونه صريحا في زيادة صامت من جنس الصامت الموقوف عليه ، وذلك بخلاف التثقيل الذي يرد بمعان أخرى(٤) ، مثل ردّ الصلات إلى الهاءات ، وردّ صلة الميمات قياسا على صلة الهاءات ، ومثل استعماله في ضد التخفيف بمعنى تسهيل الهمزة ، ولذا اقتصر أكثر العلماء على استعمال مصطلح التضعيف في حديثهم عن الوقف به .

الوقف بالتضعيف عند النحويين :

جاء في شرح المفصل « وأما التضعيف فهو أن تضاعف الحرف الموقوف

---

(١) ١٦٩/٤ السابق

(٢) نفس الموضع من السابق

(٣) ١٧٢/٤ السابق

(٤) ينظر ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ القواعد والاشارات في أصول القراءات - للحموي

عليه بأن تزيد عليه حرفا مثله فيلزم الإدغام ، نحو هذا خالدّ ، وهذا فرجّ ، وهذا التضعيف إنما هو من زيادات الوقف ، فإذا وصلت وجب تحريكه وسقطت هذه الزيادة »[1] .

وقد وضع النحويون له شروطا مجملها أن يكون الحرف الموقوف عليه متحركا صحيحا غير همزة ، وألا يكون ماقبله ساكنا ، فلا يوقف بالتضعيف على ما كان آخره ساكنا نحو (قمْ) ، لأن التضعيف كالعوض من الحركة ولا يوقف به على المعتل نحو (رأيت القاضيَ) لثقل حرف العلة ، ولا يرد فيما آخره همزة نحو (الــكلأُ) لأن الهمزة لا تضعف ولا ولا يضعف فيهافى موضع اللام ، ولا يقع فيما قبل آخره ساكن نحو (زيْدوعمْرو) لئلا تجتمع ثلاثة سواكن ، الذى قبل الآخر ، والمدغم ، والموقوف عليه[2] ، وأجاز عبد القاهر تضعيف الحرف إذا كان قبله مدة ، كسعيد وثمود[3]

والغرض من الوقف بالتضعيف : بيان أن الآخر محرك فى الأصل ، وقلما يمتنع تضعيف المنون المنصوب لظهور حركته بتمامها ، إلا على لغة ربيعة فإنهم يحذفون التنوين ، ولا مانع عندهم من التضعيف[4] .

والعلامة الخطية للوقف بالتضعيف رأس شين صغيرة تجعل فوق الحرف

---

(١) ٩/٦٧ شرح المفصل

(٢) ينظر ٩/٧٠ من السابق ، ٢/٣٤١ شرح التصريح

(٣) ٢/٣١٥ شرح الشافية للرضى

(٤) ينظر ٢/٣١٦ من السابق ، ٢/١٧٧ حاشية الخضرى على ابن عقيل

الوقوف عليه هكذا (ـ) وهى من اختراع الخليل بن أحمد (١) .

رأى المحدثين :

بعض المحدثين يتصور أن هناك شبها ما بين الحرف الموقوف عليه بالتضعيف وبين الحرف المقلقل ، وينحصر ذلك الشبه فى أن كلا منهما عبارة عن صوت صامت يتبعه صويت فى سياق الوقف ، فحروف القلقلة المجموعة فى قولهم (قطب جد) هى عبارة أصوات شديدة انفجارية تشترك فى خاصة مميزة لها عن بقية الأصوات ، وهى أنها يتبعها (صويت) أى صوت خفيف قصير عند النطق بها ساكنة ، وذلك ـ كما يقول ابن جنى ـ « لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت ، وذلك لشدة الحفز والضغط وذلك نحو الحقْ ، واذهبْ ، واخلطْ ، واخرجْ ، وبعض العرب أشد تصويتا » (٢).

وهذا الصويت التابع مرجعه إلى أن فى هذا النطق تحقيقا كاملا لخواص هذه الحروف أى تحقيقا للانفجار والجهر ، وذلك يستدعى جهدا كبيرا من الناطق ؛ لأن شدتها تعنى حبس الهواء عند نطقها حبسا تاما ، ولأن جهرها يعنى عدم جريان النفس معها ، لاقتراب الوترين الصوتيين اقترابا شديدا يسمح بتسرب أقل مقدار من الهواء ، ومن ثم وجب اتباعها بصويت أو حركة خفيفة ، فتنتقل هذه الحروف من السكون إلى شبه تحريك ،

---

(١) ينظر ١٦٩/٤ الكتاب ، ص ١٢٩ المقنع فى رسم مصاحف الأمصار للدانى

(٢) ٧٢/١ سر صناعة الاعراب

فيتحقق نطقها كاملا بكل صفاتها من شدة وجهر[١] .

وكذلك التشديد الذى يلاحظ فى الحرف الموقوف عليه بالتضعيف ، فهو — عند الدكتور تمام حسان — ناتج عن التأنى فى نطق الحرف الأخير الساكن « وليس المقصود به تضعيف الحرف ، وإنما هو شبيه بإطالة بطيئة للحرف الموقوف عليه ، وهو يلاحظ فى يومنا هذا فى إلقاء الإملاء على التلاميذ ، وفى كلام المحاضرين المتأنين والمتأنقين ، ويلاحظ فى وقف الدكتور طه حسين على جمل كلامه حين يحاضر ، فهو يجعل تشديد الحرف الأخير المسكن للوقف وسيلة من وسائل الإبلاغ السمعى ؛ لإرادة التأكيد أو أى معنى آخر مناسب » (٢) .

فالتشديد أو التضعيف الذى هو أحد الأوجه الواردة عن العرب فى الوقف على أواخر الكلم المتحركة فى الوصل معناه المبالغة والتأنى والتأنق فى نطق الصامت الأخير المسكن من أجل الوقف ، ومهما زادت تلك المبالغة فهى لا تصل إلى حد أن يكون الحرف الموقوف عليه بمثابة الصامتين الساكنين ، وصاحب ذلك الرأى يرى أن هذه الظاهرة تشترك فيها كل الصوامت بما فيها الهمزة إذا وقعت طرفا كما فى كلمة (بناء) ، وأن النبر قرينة على وجود التشديد بذلك المفهوم عند عدم القصر ، وهو بذلك يخالف النحويين فى أمرين :

---

(١) ينظر ١٤٨ علم اللغة العام - القسم الثانى : الأصوات

(٢) ص ٢٧٢ اللغة العربية معناها ومبناها

أولا : فى مفهوم التشديد أو التضعيف ، ومعناها — كما قال ابن يعيش — « أن تضاعف الحرف الموقوف عليه بأن تزيد عليه حرفا مثله فيلزم الإدغام نحو هذا خالدّ ، وهذا فرجّ » ، أما معناها عند الدكتور تمام التأنى والتأنق وزيادة الضغط على الحرف الموقوف عليه .

وثانيا : فى محل التشديد أو التضعيف ، وهو عند النحويين الصامت الأخير المسكن من أجل الوقف إذا تحققت فيه شروط معينة ، وهى التى أجملناها فيما سبق ، ومنها ألا يكون الصامت الأخير همزة ، أما الدكتور تمام فقد نص على مخالفة هذا الشرط ، وأن التشديد بالمفهوم الذى ذكره يقع فى الهمزة كما يقع فى غيرها ، وقد يفهم[1] من مجمل كلامه أن ذلك التشديد يمكن أن يقع فى مثل « قمْ ، وزيْد وعمْرو ، وسعيد وثمود » لعدم وجود ما يمنع من ذلك فى رأيه .

ومن الواضح أن القدامى والمحدثين عندما يتحدثون عن ظاهرة الوقف بالتضعيف يستبعدون كل الكلمات التى يستحق الحرف الأخير منها أن يضعف عند الوقف عليه بحكم صيغة الكلمة ومادة اشتقاقها ، فالوقف بالتضعيف على الفواصل القرآنية (ويقولوا سحر مستمرّ)[2] ، (وكل أمر مستقرّ)[3] ، (فى يوم نحس مستمرّ) (٤) ، (عذاب مستقرّ) (٥) ،

---

(١) ويفهم ذلك أيضا من كلام الدكتورة فاطمة محجوب ص١٤٢ علم اللغة ط ١٩٧٦

(٢) القمر ٢ — (٣) القمر ٣

(٤) القمر ١٩ — (٥) القمر ٣٨

(أدهى وأمرّ) (١) وكذا على أمثالها من فواصل الكلام وقوافى الشعر - مما يتكلم به الناس ، ويقرأ به كل القراء ، وذلك منهج اللغة النموذجية فى الوقف على المضعف الآخر ، ولا يصلح مثالا على ظاهرة الوقف بالتضعيف ، ولذا قالوا(٢) لم يؤثر التضعيف عن أحد من القراء إلا عاصم فى (مستطرّ)(٣) الواردة فى سورة القمر أيضاً ، وأمثلة سيبويه التى أوردها فى الكتاب : « هذا خالدّ ، وهو يجعلّ ، وهذا فرجّ ، ومررت بخالدّ ، ورأيت أحدّ » (٤) خير شاهد على استبعاد المضعف الآخر بحكم الاشتقاق من الظاهرة اللهجية ، وحصرها فى التشديد أو التضعيف الذى ينشئه الوقف .

وعلى كل فالصامت المشدد فى آخر الكلام يزيد فى الطول عن نظيره الساكن غير المشدد ، لأن « التشديد مدّ للحروف الصامتة ، وهو نظير المد الحروف الصائتة أى الحركات » (٥) ، وقد ثبت أيضاً أن النطق بالمشدد الساكن فى آخر المجموعة الكلامية يستغرق مدة من الزمن هى أطول من زمن المفرد الساكن الأخير » (٦) .

---

(١) القمر ٤٦

(٢) ينظر ٣٤١/٢ شرح التصريح على التوضيح ، ٢١٠/٤ حاشية الصبان على الأشمونى

(٣) القمر ٥٣

(٤) ١٦٩/٤ ، ١٧٢ الكتاب

(٥) ص ٥٣ التطور النحوى للغة العربية

(٦) ص ١٥٧ ، ١٥٨ مناهج البحث فى اللغة

يضاف إلى ذلك أن النبر لايفارق المقطع الصوتى الأخير الذى يشتمل على ذلك الصامت المشدد الموقوف عليه ، فأحد أسباب وقوع الظاهرة ـ كما يبدو ـ هو « أن أصحابها كانوا ينبرون نبرا شديدا على آخر الكلمة عند الوقف »[1] ؛ لأن شرط المقطع الأخير حين يقع عليه النبر أن يكون أحد نوعين :

ساكن + لين طويل + ساكن

أو

ساكن + لين قصير + صوتان ساكنان

ففى حالة الوقف على مثل «خالد» مع بقاء النبر فى موضعه يجب أن تصبح الكلمة على أحد وجهين : إما « خالدّ » أو « خاليد » ، وقد اتخذت لهجة سعد بن بكر الوجه الأول وهو «خالدّ» فى حالة الوقف[2] .

والأمر يتضح أكثر لو حللنا الكلمات الآتية تحليلا مقطعيا :

١ ـ كلمة (خالد) المنونة تحتوى على ثلاثة مقاطع وهى :

(ص ح ح) + (ص ح) + (ص ح ص) .

وذلك باعتبار الوصل ، والنبر حينئذ يقع على المقطع الذى قبل[3] الأخير وهو (لِ) .

---

(١) ص ٣٥٣-٣٥٤ لغة تميم دراسة تاريخية وصفية

(٢) ١٤٧ ، ١٤٨ فى اللهجات العربية د.أنيس

(٣) ينظر ص ٨٠ التجويد والأصوات ، ص١٧٣ الأصوات اللغوية

فإذا وقف بالتضعيف على الكلمة المذكورة صارت إلى مقطعين :

(ص ح ح) + (ص ح ص ص) .

والنبر فى هذه الحالة لايتغير موضعه ، وإن صار فى المقطع الأخير المغلق بصامتين وهو (لِدّْ) .

فالقمة أو النواة التى يظهر عليها النبر واحدة فى الحالين وهى الحركة الواقعة بعد اللام .

٢ — الفعل (يجعل) مقاطعه باعتبار الوصل ثلاثة :

(ص ح ص) + (ص ح) + (ص ح) .

والنبر فى هذه الحالة يقع على المقطع الذى قبل الأخير (عَ) لكونه مقطعاً قصيراً مسبوقاً بمقطع متوسط مغلق .

وفى حال الوقف بالتضعيف يصير الفعل إلى مقطعين هما :

(ص ح ص) + (ص ح ص ص) .

والنبر حينئذ لايغادر موضعه وهو الحركة التى تلى العين (عَلّْ) ؛ لأنها النواة أو القمة فى المقطع الأخير المختوم بصامتين .

٣ — اسم الفاعل فى العبارة (كل ضالّْ إلا من هديته) مقاطعه باعتبار الوصل اثنان هما :

(ص ح ح ص) + (ص ح ص) .

والنبر يقع على المقطع الأول (ضَالْ) .

وفى حال الوقف فى اللغة النموذجية وغيرها يتكون اسم الفاعل من مقطع واحد هو :

(ص ح ح ص ص) = (ضَالّ) .

والنبر حينئذ لا يغادر موضعه وهو الفتحة الطويلة التى تلى الضاد ، ويسمى هذا النوع من المقاطع بالمقطع المتمادى « ومساحته الصوتية تسمح للنبر أن يتم على الحركة (النواة) قبل أن يتلاشى الصوت فى الوقف ، اعتمادا على بقية المقطع ، بل إن هذا هو شأن المقطع فى حالة الوصل أيضا ، لكنه يتحول إلى مقطع مديد من النوع الرابع ، متبوع بمقطع قصير »[1] ..

والخلاصة هى أن الوقف بالتضعيف فى اللغة النموذجية أو فى اللهجات الخاصة يصحبه دائما إنقاص مقاطع الكلمة ، ولزوم النبر المقطع الموقوف عليه .

وزن الموقوف عليه بالتضعيف :

يقول ابن الجزرى : الوقف بالتشديد ليس كالنطق بساكنين غيره وإن كان فى زنة الساكنين ؛ لأن اللسان ينبو بالحرف المشدد نبوة واحدة ، فيسهل النطق به لذلك ، وذلك مشاهد حسا[2] . فالنبوة التى وردت فى هذا النص لا تعنى إلا زيادة الضغط على الصامت الأخير فى الكلمة وإطالته

---

(١) ٢٠٤ علم الأصوات تأليف برتيل مالمبرج ، تعريب د. عبد الصبور شاهين

(٢) ١٢٧/٢ النشر فى القراءات العشر

حتى يصير مضعفا ، والنطق بالصوت المضعف الموقوف عليه بمثابة مشى المقيد ، لأن العضوين المشتركين فى إخراجه يلتقيان مرتين على التوالى بدون فاصل .

وهذا معناه أن الصامت المشدد الموقوف عليه يقابل فى الميزان الصرفى بصامتين وليس بصامت واحد كما يفهم من كلام[1] الدكتور تمام حسان، فلو طلب منا وزن كلمة (خالدّ وفاضلّ) على لهجة من يقفون عليهما بالتضعيف لقلنا إنهما على وزن (فاعلّ) بتشديد اللام ؛ لأن الزيادة إن كانت بتكرير حرف من أصول الكلمة قوبلت بتضعيف الحرف المقابل له فى الميزان[2] .

وكذلك يقابل الصامت المشدد الموقوف عليه فى المقطع الصوتى بصامتين ، فالمقطع الأخير من الكلمتين المذكورتين وهو (لِدّ) عبارة عن (ص ح ص ص) .

والوزن العروضى يؤيد ذلك أيضاً ، فلو قطعنا شعرا كهذا الرجز :

لقد خشيت أن أرى جدبّا   مثل الحريق وافق القصبّا[3]

---

(١) ينظر ص ٢٧٢ اللغة العربية معناها ومبناها

(٢) ينظر ص ٥ المغنى فى تصريف الأفعال للشيخ عضيمة

(٣) ينظر ٢٦٤ شرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسى

لكان تقطيعه هكذا :

لقد خشي / تأن أرى / جدبّا

متفعلن / متفعلن / متفْعِلْ

مثالحرى / قوانقل / قصبّا

مستفعلن / متفعلن / متفْعِلْ

فكلمتا (جدبّا) و (القصبّا) أصلهما جَدْبًا والقَصَبَ ، بتخفيف الباء منهما ، ثم شدد آخرها « إجراء للوصل مجرى الوقف »[1] ، فصار الحرف الأخير بعد تضعيفه في وزن الحرفين ، وهو يقابل الفاء والعين من (متفعل) .

إلى من ينسب الوقف بالتضعيف ؟

نقل سيبويه عن الخليل بن أحمد أن العرب كانت تقف بالتضعيف على أواخر الكلم المتحركة في الوصل ، قال : « وأما التضعيف فقولك : هذا خالدّ ، وهو يجعلّ ، وهذا فرجّ ، حدثنا بذلك الخليل عن العرب » [2] ، ويفهم مما أورده من رجز شاهدا على الظاهرة منسوبا إلى رجل من بني أسد وهو قوله :

ببازلٍ وَجْنَاء أو عَيْهَلِّ [3]

---

(١) ينظر ٢٧٦ من السابق

(٢) ينظر ٤/١٦٩ الكتاب

(٣) ينظر ٤/١٧٠ الكتاب

ومنسوبا إلى رؤبة وهو قوله :

لقد خشيت أن أرى جدبّا
في عامنا ذا بعدما أخصبّا

وقوله :

بدء يحب الخلق الأضخمّا[1]

يفهم من ذلك أن الوقف بالتضعيف كان لهجة لبني أسد وبني تميم ، أو لبعضهما ، وقد جاء ذلك في الوصل إجراء له مجرى الوقف .

هذا وقد قال[2] صاحب التصريح عن الوقف بالتضعيف إنه لغة سعدية ، ورجح معظم[3] الباحثين نسبته إلى قبيلة بني سعد التميمية ؛ لما روى من أن عاصما كان يقرأ « وكل صغير وكبير مستطر »[4] ويقف بالتضعيف ، وأن حمزة كان يقرأ (دفء ، جزء ، ملء) بالتشديد (٥) من غير همز في حال الوقف ، وكلاهما من قراء الكوفة التي تأثرت بقبائل شرق الجزيرة كتميم وأسد وهوازن وغيرها .

---

(١) ينظر ٤/١٧٠ الكتاب

(٢) ينظر ٢/٣٤١ شرح التصريح على التوضيح

(٣) ينظر ١٤٧ في اللهجات العربية ، ٣٨١ اللهجات العربية في التراث ، ٣٧٢ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ١٥٠ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ٣٥٣ - ٣٥٤ لغة تميم

(٤) القمر ٥٣

(٥) ص ٢٦٦ إبراز المعاني من حرز الأماني

الفصل السادس

الوقف بالنقل والاتباع

النقل معناه أن تنقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الحرف الساكن الذي قبله نحو قام عمُرو بضم الميم، ومررت ببكِر بكسر الكاف[1].

وقد وضع النحويون شروطا لنقل الحركة من الموقوف عليه إذا لم يكن مهموزا، وأهم تلك الشروط:

١ - أن يكون الصامت الذي قبل الآخر خاليا من الحركة، لأنه لو كان متحركا لم يمكن النقل إليه، لاشتغاله بما فيه من الحركة، ولأن الحرف الواحد لا يتحمل حركتين، لا متفقتين ولا مختلفتين كما قال ابن جني[2].

٢ - أن يكون ذلك الصامت قابلا للحركة، فإن لم يكن كذلك - « لكون تحريكه متعذرا كما في نحو ناب وباب، أو متعسرا كما في نحو قنديل وعصفور وزيد وثوب لثقل الحركة على الياء والواو، أو مستلزما لفك إدغام ممتنع الفك في غير الضرورة كما في نحو جدّ وعمّ - امتنع النقل » (٣).

---

(١) ٢٠٨/٢ همع الهوامع

(٢) ينظر ٣١/١ سر صناعة الاعراب

(٣) ينظر ٢١٠/٤ - ٢١١ شرح الأشموني

٣ ـ أن يكون الموقوف عليه صحيحا ؛ لأنه لو كان معتلا بالواو كما فى المصدر (غزْو) لأدى نقل الضمة منها إلى نظير معدوم وهو الاسم الذى فى آخره واو قبلها ضمة ، وأدى نقل الكسرة إلى قلب الواو ياء وتغيير صورة الكلمة .

٤ ـ ألا تكون الحركة المنقولة فتحة ، وذلك مذهب البصريين ، قال سيبويه : « ولم يقولوا رأيت البكَرْ ؛ لأنه فى موضع التنوين ، وقد يلحق مابين حركته ، والمجرور والمرفوع لا يلحقهما ذلك» (١) ، يريد أن الألف واللام قامتا مقام التنوين ، فلم تحرك الكاف فى البكْر كما لم تحرك فى رأيت بكرا حين جعلت الألف بدلا من التنوين .

ومن الواضح أن المنطق غلب على كلام سيبويه ومن تابعه عندما منعوا النقل فى المنصوب المقترن بأل قياسا على امتناعه فى المنون ؛ لأن المعروف(٢) عن بنى تميم أنهم كانوا يكرهون اجتماع الساكنين فى الوقف كما كانوا يكرهون ذلك فى الوصل ، ولا أرى أنهم كانوا يفرقون بين أن تكون الحركة المنقولة فتحة أو غيرها ، والدليل على ذلك ما يأتى :

(أ) الفتحة هى الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التى يراد أن تنتهى بها الكلمة كلما أمكن ذلك ، فهى بمثابة السكون فى لغة العامة (٣) .

---

(١) ١٧٣/٤ الكتاب

(٢) ينظر ٢٢٥ من أسرار اللغة ، ٤٠٦ - ٤٠٧ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ، ويقارن مع ٧١/٩ شرح المفصل

(٣) ص ٥٠ ، ٧٨ ، ٨١ إحياء النحو

(ب) الغرض من النقل فى الوقف « هو التخلص من الساكنين أو الدلالة على حركة الإعراب الساقطة أو هما معا »[1] وذلك يتحقق بنقل الفتحة ، تماما كما يتحقق بنقل الكسرة أو الضمة .

(جـ) صرح سيبويه[2] بأنه سمع من تميم وأسد نقل الفتحة من الموقوف عليه المهموز ، وأنهم يقولون : رأيت الوَثَأْ ، ورأيت البُطَأْ ، ورأيت الرِّدَأْ ، يجيزون ذلك فى المهموز ويمنعونه فى غيره ، وأظن أن المنع قد نتج عن نقص فى الاستقراء ؛ لأنه يؤدى إلى عدم اطراد الظاهرة التى تنسب إلى قبيلة تميم على وتيرة واحدة .

(د) الذى منعه سيبويه والبصريون أقره[3] الكوفيون والجرمى والأخفش ، وأعتقد أنهم كانوا على صواب حين أجازوا نقل الفتحة إلى الساكن قبلها مطلقا .

٥ ـ ألا يؤدى النقل إلى بناء ليس له نظير فى أوزان الاسم ، فكلمة (قُفْل) مثلا لا يوقف عليها بالنقل فى حالة الجر ؛ لصيرورتها إلى وزن (فُعِل) بضم فكسر ، وكلمة (حِبْر) لا يوقف عليها بالنقل أيضا فى حالة الرفع ، حتى لا تؤول إلى وزن (فِعُل) بكسر فضم ، قال سيبويه :

---

(١) ٧١/٩ شرح المفصل ، ٢٠٨/٢ همع الهوامع

(٢) ١٧٧/٤ الكتاب

(٣) ينظر ٢٠٨/٢ همع الهوامع ، ٢١٢/٤ شرح الأشمونى وحاشية الصبان

« لأنه ليس من كلامهم فِعُل ، وليس فى الأسماء فُعِل »[2] ، والمقصود أن البناء الأول مهمل ، والثانى نادر فى الأسماء »[3] .

والذين يميلون إلى التخلص من الساكنين يعمدون إلى وسيلة أخرى غير النقل تحقق لهم غرضهم ، فيحركون الصامت الساكن الذى قبل الموقوف عليه بحركة تماثل حركة ماقبله ، فيقولون فى الوقف على الكلمتين السابقتين (قُفُلْ) بضمتين فسكون ، و (ورِجِرْ) بكسرتين فسكون ، وذلك يسمى الوقف بالإتباع ، وهو يحقق الانسجام الصوتى عن طريق التوافق أو المماثلة بين الحركتين المتجاورتين ، إلى جانب التخلص من التقاء الساكنين .

والنقل والإتباع يشتركان فى أن كلا منهما عبارة عن إقحام حركة تفصل بين الصامتين الأخيرين من الكلمة فى المقطع الأخير منهما ، وذلك ظاهرة قديمة فى اللغة العربية ، ويسمى نقلا إذا كان جرس الحركة الجديدة المقحمة متعلقا بجرس حركة الإعراب التى سقطت ، ويسمى إتباعا إذا كان جرس حركة الفصل متعلقا بجرس الحركة الأصلية فى الكلمة (١) .

وليس من المستبعد أن يكون الذين يقفون بالنقل هم الذين يقفون

---

(١) ٤/١٧٣ ، ١٧٤ الكتاب

(٢) ٤/٢١٢ حاشية الصبان على الأشمونى

(٣) ص ١٨٨ دروس فى علم أصوات العربية « مع تغيير طفيف »

بالإتباع إذا تعذر النقل؛ لأن سيبويه[١] قد صرح بأن ناسا من تميم يقولون : «هو الرِّدِىءْ ، ورأيت الرِّدِىءْ ، ومن الرِّدِىءْ» بكسر الدال فى الجميع إتباعا لكسرة الراء ، فالظاهر أن هؤلاء الذين يتبعون فى الوقف على المهموز هم أنفسهم الذين يتبعون فى الوقف على غيره ، وبخاصة أنه قد عرف « أن تميما فى وقفها تنفر من التقاء الساكنين هربا من صعوبة النطق بهما ، فكان أن تخلصت بتحريك ماقبل الآخر ، حين يقتضى الأمر النطق بساكنين فى لهجات أخرى كلهجة قريش »[٢] .

ويبدو أن طريقة تميم فى التخلص من الساكنين مازالت مستعملة فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، فأهل الشرقيـــة فى مصر يقولون (بِنِتْ)[٣] بكسر النون إذا وقفوا على كلمة (بنْت) ، وفى أنحاء مختلفة من المملكة العربية السعودية نسمعهم يقولون (الطِّفِلْ) فيكسرون الفاء إتباعا لكسرة الطاء ، وهذا الاتجاه موجود لدى بعض السودانيين ، فقد حكى عنهم أنهم ينطقون كلمة (بِكْر) — وهى ضد الشيب — هكذا (بِكِرْ) بكسرتين[٤]، وهذه الكلمة وردت فى الشعر على هذا النحو أيضا ، قال أوس بن حجر :

---

(١) ينظر ٤/١٧٧ الكتاب

(٢) ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

(٣) ١/١١٥ معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية

(٤) ص ٤٠٧ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى

لَنَا صَرْخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ   كما طَرَّقَتْ بِنِفَاسٍ بِكِرْ (١)

ومثلها كلمة (دِبس) التى وردت فى بيت أبى زبيد :

فَتَهَزَّةٌ مِنْ لقوا حسبتهم   أشهى إليه من بارد الدِّبِسْ (٢)

فالبِكِر والدِّبِس استعملهما الشاعران بكسر الصامت الوسط على سبيل الإتباع .

تحليل لبعض شواهد الوقف بالنقل :

من الشواهد على مجىء الوقف بالنقل عن العرب بيت أورده سيبويه فى الكتاب ونسبه لبعض السعديين ، وحدد الصغانى قائله بأنه فدكى بن عبد الله المنقرى ، وعزاه ابن السيد إلى عبد الله بن ماوية الطائى ، وذلك البيت هو :

أَنَا ابْنُ مَاوِيَّةَ إِذَا جَدَّ النَّقُرْ   وَجَاءَتِ الخَيْلُ أَثَافِيَّ زُمَرْ (٣)

وهو شاهد على نقل ضمة الراء إلى القاف قبلها فى كلمة (النقر) على تقدير الوقف ، ولا يقال فى الوصل إلا النقْر بإسكان القاف .

---

(١) ص ٢١٥ رسالة الملائكة لأبى العلاء المعرى ط بيروت

(٢) ص ٢١٥ رسالة الملائكة تحقيق محمد سليم الجندى ط بيروت

(٣) صدره فى ١٧٣/٤ الكتاب ، وهو فى ٣٤١/٢ شرح التصريح ، ومعنى النقر : صوت يخرج من طرف اللسان وما يليه من الحنك الأعلى يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه

والاختلاف فى قائل هذا البيت لا يقلل من قيمته كشاهد ، لأنه إن كان لفدكى بن عبد الله المنقرى كان شاهدا على لغة بنى تميم ، لأن فدكيا ينتهى[1] نسبه إلى سعد بن زيد مناة من تميم ، ويغلب على الظن أن سيبويه أراد ذلك حين عزى البيت إلى بعض السعديين ، وإن كان قائله ابن ماوية الطائى فيمكن القول بأن الطائيين تأثروا بلغة تميم ، وبخاصة أن طيئا قبيلة كبيرة ، ولها منازل شتى فى الجزيرة العربية ، وقد كانت لها مع قبائل وسط الجزيرة تحالفات ، قال السيوطى : «والحليفان أسد وطىء»[2] وأسد كانت تشترك مع تميم فى الوقف بالنقل من آخر المهموز إلى ما قبله كما ذكرنا سابقا ، وهذا يعنى اشتراك تميم وأسد فى عموم الظاهرة ، وليس بمستغرب أن تنتقل إلى طىء حليفة بنى أسد .

ونحن إذا حللنا كلمة الشاهد وهى (النّقر) تحليلا مقطعيا ، وجدناها على اعتبار الوصل تتكون من ثلاثة مقاطع هكذا :

أنْ = ص ح ص / نَقُ = ص ح ص / رُ = ص ح .

وعلى لغة قريش فى الوقف بالساكنين تتكون من مقطعين هكذا :

أنْ = ص ح ص / نَقْرْ = ص ح ص ص .

---

(١) ينظر ١/٢١٧ جمهرة أنساب العرب ، ١/٢٥٠ الاشتقاق لابن دريد

(٢) ٢/١٨٨ المزهر

وعلى لغة تميم فى الوقف تكون مقاطع الكلمة هكذا :

أنْ = ص ح ص / نَ = ص ح / قُوْ = ص ح ص

وفى كل الحالات يقع النبر على الحركة التى تلى النون (نَ) ، لكن رغبة تميم فى التخلص من الصامتين الساكنين جعلتهم يبتعدون به عن المقطع الأخير إلى ما قبله مع الاحتفاظ له بموضعه فى حال الوقف ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على كراهية بنى تميم للوقوف على مقطع من النوع الخامس ، وللنبر به أيضاً .

ومن الشواهد أيضاً قافية البيتين :

أرتْني حِجْلاً على ساقِها ... فهشَّ الفؤاد لذاك الحِجِلْ

فقلت ولم أخْفِ عن صاحبى ... ألا بأبى أصل تلك الرِّجِلْ[1]

فكلمتا (الحجِل) و (الرجِل) الأصل فيهما سكون الجيم ، وإنما كسرت من أجل التخلص من الساكنين ، وسواء أكانت كسرتها من أجل النقل أم كانت للاتباع «فإن هذا الوزن ليس بأصل فى هاتين الكلمتين ، لأن فعلا بكسر الفاء والعين لم يجىء منه إلا قولهم : إبل وإطل »[2] فيما لم يقع فيه نقل ولا إتباع أو لم يكن من قبيل الضرورات .

ومن الشواهد غير المنسوبة أيضاً :

---

(١) ٩/٧١ شرح المفصل

(٢) هامش الموضع السابق

تَحْفِزُهَا الأوتارُ والأيدى الشُّعُرْ والنَّبْلُ ستّون كأنها الجَمُرْ (١)

ومحل الشاهد فى كلمة (الشُّعُرْ) بضمتين ، وهى جمع شعراء كحمراء ، والأصل فيها أن تكون ساكنة العين كحُمْرْ ، لكن الشاعر تخلص من الساكنين بنقل حركة الصامت الموقوف عليه إلى الساكن قبله على لغة بنى تميم ، ومثلها كلمة (الْجَمُرْ) بفتح الجيم وضم الميم ، والأصل فيها أن تكون بفتح فسكون ، لكن تخلص الشاعر من الساكنين عن طريق النقل أيضاً .

والكلمتان فى هذا الشاهد وفيما قبله لا يختلف تحليلهما المقطعى عما قلنا فى كلمة (النقر) الواردة فى الشاهد الأول .

هذا وتكاد تنعدم الشواهد النثرية على ظاهرة الوقف بالنقل حتى نقل السيوطى عن صاحب الإفصاح قوله «قد اتسعت القراءات وكثر فيها الشاذ، ولم يسمع فيها هذا الوقف ، وإنما جاء فى الشعر » (٢) .

ولكن كلام أبى حيان صريح فى قلة ماورد منه خلافا لما نقله السيوطى، قال أبو حيان : لم يؤثر النقل عن أحد القراء إلا ماروى عن أبى عمرو أنه قرأ « وتواصوا بالصَّبِرْ »(٣) بكسر الباء ، وعن سلام أنه قرأ

---

(١) ٩/٧٠ شرح المفصل

(٢) ٢/٢٠٩ همع الهوامع

(٣) العصر ٣

«والْمَصِيرْ» (١) بكسر الصاد (٢) .

« ولسنا ندهش لرواية هذا النوع من الوقف عن أبى عمرو ، لأن قبيلة « تميم اشتهرت به(٣) وأبو عمرو عربى صريح ولد بمكة ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة ، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية ، فضلا عن ذلك فهو تميمى يتصل نسبه بمازن بن مالك بن عمرو ابن تميم » (٤) .

وقد يكون من تمام الحديث عن الوقف بالنقل أن نذكر أن جماعة النحويين يقصرونه على الحركة الإعرابية دون (٥) البنائية ، فلا يقال : من قَبْلْ ، ولا من بَعْدْ ، ولا مضى أَمْسْ ؛ لأن حرصهم على معرفة حركة الإعراب ليس كحرصهم على معرفة حركة البناء ، وقال بعض المتأخرين : بل الحرص على حركة البناء آكد ؛ لأن حركة الإعراب لها مايدل عليها وهو العامل(٦).

وهؤلاء قد سبقهم سيبويه فى الباب الذى عقده بعنوان « هذا باب

---

(١) العصر ١

(٢) ينظر ٥٠٩/٨ البحر المحيط ، وكتاب السبعة فى القراءات ٦٩٦ ، وحاشية الصبان على الأشمونى ٢١٠/٤ - ٢١١

(٣) ٢٢٤ من أسرار اللغة

(٤) ٢٨٨/١ - ٢٩٢ غاية النهاية فى طبقات القراء

(٥) ١٧٧/٢ حاشية الخضرى على ابن عقيل

(٦) ٢١١/٤ شرح الأشمونى

الساكن الذى تحركه فى الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذى هو علامة الإضمار ليكون أبين لها كما أردت فى الهمزة » وأورد من هذا القبيل قولهم: ضَرَبْتُهُ ، واضْرِبْتُهْ ، وقَدُهْ ، ومِنُهْ ، وعَقُهْ ، ثم قال : سمعنا ذلك من العرب (١) .

ومن الشواهد التى أوردها على ذلك بيت زياد الأعجم :

عَجِبْتُ والدهر كثير عجبُهْ من عَنَزِىٍّ سبَّنى لم أضْرِبُهْ (٢)

وموضع الشاهد (لم أضْرِبُهْ) بضم الباء ، والأصل فيها السكون لكون الفعل مجزوماً بلم ، فلما وقف الشاعر نقل الضمة التى كانت على الهاء إلى الباء الساكنة .

والتعليل الصوتى لذلك النقل هو أن الهاء من الأصوات الخفية لكونها مهموسة رخوة منفتحة مستفلة تخرج من أقصى الحلق أو الحنجرة ، وهى شبيهة بأصوات اللين ، لأن الفم يتخذ عند النطق بها نفس الوضع الذى يتخذه عند النطق بأصوات اللين (٣)، ويخرج معها صوت النفس الخالص الايلقى مرورة اعتراضا فى الفم ، وإن كان المجرى يضيق ويحدث لذلك حتكاك مسموع ؛ ولذا عدت الهاء من الصوائت المهموسة (٤) ، فإذا

---

(١) ينظر ٤/١٧٩ ، ١٨٠ الكتاب

(٢) ٩/٧٢ شرح المفصل ، ٤/٢٦١ شرح شواهد الشافية

(٣) ص ٨٩ الأصوات اللغوية د. أنيس

(٤) ينظر ص ١٨٩ ، ١٩٥ علم اللغة د. محمود السعران

وقعت ساكنة فى آخر الكلام جرى الصوت بها فى الحلق والفم دون أن يعترض عليه بضغط ولا حصر ، وهذا هو سر خفائها فى ذلك الموقع ، وإذا سبقت بصامت مجرد من الحركة ازداد الخفاء ؛ «لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها »[١] أما إذا حرك الصامت بالحركة المنقولة بانت الهاء لما فى الحركة من الجهر ، ولما يلزم من انفتاح المجرى للحركة والهاء دون غلق له حتى تتم الهاء من غير أن يكون قد انتهى رنين الحركة .

هذا ونقل الحركة من الهاء الموقوف عليها إلى الساكن قبلها ماأزال مستعملا فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، فأهل أسيوط فى صعيد مصر يقولون فى الإخبار فلانة ضَرَبَتُهْ ، وفى الأمر اضْرُبُهْ ، فيضمون الراء أيضاً لتجانس الحركة المنقولة ، ويقولون : قَدُّهْ وينطقون بالقاف مثل الجيم القاهرية ويشددون الدال مع نقل حركة الهاء إليها ، وكذلك يفعلون بالنون فى مِنْهُ وعَنْهُ ، فينقلون إليها ويشددون فتصير : مِنُّه وعَنُّهْ ، وليس من وراء ذلك علة إلا بيان الهاء والحيلولة دون خفائها .

---

(١) ٢٨٧/٢ شرح الأعلم الشنتمرى لشواهد سيبويه

الفصل السابع

الوقف بالإبدال

١ ـ وقف اللغة النموذجية على المنون المنصوب :

يستخلص مما ورد فى كتب اللغة والنحو أن اللغة العربية النموذجية كانت تقف بالألف على كل منون مفتوح آخره ، سواء أكانت فتحته للاعراب كما فى « رأيت خالدا » أم كانت للبناء كما فى نحو « ويها » و « إيها » ، فهذه وشبهها توصل بالتنوين ، ويوقف عليها بالألف .

وقد اختلف العلماء فى وصف للسلوك المذكور ، فكثير منهم يرى أن الألف الموقوف عليها مبدلة من التنوين الذى كان فى حالة الوصل ، وذلك « لأن التنوين شبيه بالألف من حيث إن اللين فى الألف تقاربه الغنة فى التنوين ، فأبدلوه ألفا لما بينهما من المقاربة »[1] ، « واختاروا الألف . . لأنها تهوى فى خرق الفم ، وهو (أى التنوين) يهوى فى الخياشيم »[2] ، وهذا ما أقره علم اللغة الحديث ، فقد ثبت أن الراء واللام والميم والنون تشبه الحركات فى أهم خاصة من خواصها وهى قوة الوضوح السمعى ، ويمكن تفسير هذا الشبه بما يجرى حال النطق بهذه الأصوات ، حيث

---

(١) ٢٣٨/٢ شرح التصريح على التوضيح

(٢) ص ١١ المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتدا

يلاحظ أن هواء اللام والميم والنون يخرج حرا طليقا كالحركات تماما، ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم، ومع اللام من جانبي الفم، ومع الميم والنون من الأنف[٤].

ويرى آخرون أن وقف اللغة النموذجية على المنون المفتوح الآخر لا يعدو أن يكون إسقاطا للتنوين مع التعويض عنه بإطالة الحركة السابقة عليه وهي الفتحة، قال ابن الشجري: وحذفوه - أي التنوين - في الوقف بعوض في نحو رأيت زيدا »[٢]، والذي سوغ ذلك كونه نونا زائدة، وبسقوطها في الوقف يحصل الفرق بينها وبين النون الأصلية؛ ثم إن الوقف بالألف تخف به الكلمة .. والخفة مطلوبة في الوقف (٣).

يضاف إلى ذلك أن التنوين إنما كان الغرض منه في الوصل الدلالة على اكتمال الاسم وانفصاله عما بعده، فلا يدخل في الاسم إلا علامة على ذلك، وعليه فليس لوجوده مسوغ في حالة الوقف، لأن الوقف هو علامة الانقطاع والانفصال الأساسية، وإذا انتفت العلة الموجبة انتفى المعلول، ومن ثم يسقط التنوين عند الوقف ويعوض عنه عند الحركة السابقة[٢].

وقد طبقت اللغة الفصحى المنهج السابق في الوقف على كل ما في آخره

---

(١) ص ١٦٨ علم اللغة العام - القسم الثاني الأصوات

(٢) ص ٨١ حوليات كلية الآداب نقلا عن أمالي ابن الشجري ٣٨٠/١

(٣) ينظر ١٦١/٤ الكتاب، ٦٩/٩ شرح المفصل، ٢٧٩/٢ شرح الشافية للرضي

(٤) ص ٨١ حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت - الحولية العاشرة

نون ساكنة متطرفة زائدة قبلها فتحة ، وإن لم يكن تنوين تمكين ، فيوقف على « إذَنْ » بالألف لشبه نونه بتنوين المنصوب ، لأن صورتها صورته لفظا ، وكذلك يوقف على الفعل المؤكد بالنون الخفيفة بالألف ؛ لئلا يكون للفعل مزية على الاسم ، ولأنه إذا كان التنوين دليل تمكن الإسمية ، فإن التوكيد دليل تمكن الفعلية[1] .

وخلاصة الحديث أن اللغة النموذجية وإن كانت تميل فى وقوفها إلى المقاطع المغلقة ، إلا أنها تستسيغ إلى حد ما الوقف على المقطع المفتوح إذا كان من النوع الثانى المنتهى بحركة طويلة (ص ح ح) ، وتلك نتيجة الإحصاء الذى أجريناه على الفواصل القرآنية باعتبارها مواضع للوقوف ، إذ وجدنا أن الفواصل المنتهية بمقطع مغلق فى حالة الوقف تبلغ (٨٠ ٪) ثمانين بالمائة من جملة الفواصل ، بينما الفواصل الموقوف عليها بالمقطع المفتوح ـ ولا يكون إلا من الشكل الثانى ـ لا تتجاوز نسبة العشرين بالمائة .

هذا وقد سبق لنا الكلام على أن قبيلة ربيعة تقف على المنون المنصوب بحذف التنوين والفتحة وإسكان الصامت الأخير ، أى تستصحب فى الوقف إقفال المقطع الأخير بصامت غير التنوين .

وثمة لهجة أخرى فى الوقف على المنون المنصوب ، وهى[2] أن بعض

---

(١) ٣١٠/٢ المناهج الكافية شرح الشافية ، ص ١٥ من وظائف الصوت اللغوى

(٢) نقل ذلك سيبويه عن الخليل ١٧٦/٤ الكتاب

العرب يقول في الوقف : رأيت رجلأْ فيهمز تلك الألف وذلك لأن الألف خفية فأبدلت بما هو أبين وأوضح منها في السمع ، وبما يؤدي إلى قفل المقطع المفتوح ، وكذلك فعلوا بألفات أخرى ، فقالوا (١) : هو يضربهأْ ، وهو أحرى بهأْ ، وهذه حبلأْ ، وعصأْ ، وأفعأْ ، ومن ذلك «همزة الوقفة في آخر الفعل ، لغة لبعض العرب دون بعض ، نحو قولهم للمرأة: قولئ ، وللرجلين قولأْ ، وللجميع قولؤْ ، وإذا وصلوا لم يهمزوا ، ويهمزون إذا وقفوا عليها »(٢) .

وأصحاب تلك اللهجة ـ وهم بعض (٣) طيء ـ يفرون من الوقف على المفتوح إلى المقطع المغلق ، واختاروا الهمزة لغلق المقطع لكونها أبين وأوضح في السمع من الألف ؛ وذلك لما فيها من النبر والقطع الذي يحقق للبدوي السرعة في النطق .

وآخرون (٤) من طيء يختارون الواو لغلق المقطع ، فيقولون: « أفعوْ وحبلوْ » بواو ساكنة وهم أقل بيانا من السابقين .

---

(١) ينظر ٤/١٧٦ ، ١٧٧ الكتاب، ٢/١٧ الخصائص، ١/٨٤ سر الصناعة، ٢/٢٠٦ الهمع

(٢) ١/٢١ لسان العرب

(٣) ٢/٢٣٩ شرح التصريح على التوضيح

(٤) ٤/١٨١ ، ٢٤١ الكتاب ، ١/٦٤ الحجة لابن علي، والمراجع من شرح التصريح

وطائفة ثالثة منهم ويشاركهم ناس من قيس وفزارة وأهل الحجاز[١] يختارون الياء لغلق المقطع الموقوف عليه ، فيقولون : « أفعىْ ، وحبلىْ ، ومثنّىْ » بياء ساكنة ، وهؤلاء أقل بيانا من سابقيهم، لأن الواو أبين من الياء كما صرح بذلك سيبويه .

هذه اللهجات الثلاث ــ كما قال (٢) أحد العلماء ــ تمثل ثلاث مراحل من عمر طويل .

أما الوقف بالألف فى أواخر تلك الحكايات فهو الصورة الحضرية التى تكلمت بها قريش ، وارتضتها اللغة النموذجية التى نزل بها القرآن الكريم، وهذا ــ مثلما يرى بعض العلماء ــ هو الذى دل عليه « الاطلاع على اللغات السامية من جانب ، وتحكيم القوانين الصوتية من جانب آخر، فهما يدلان على أن مثل حبلىْ وأفعىْ بالياء أسبق فى سلسلة التطور اللغوى من أفعى وحبلى بالألف »[٣] ، وذلك عكس ما تصوره النحويون فى هـــذا الموضع من أن الألف تقلب (٤) إلى الواو أو اليـاء ، ولكنه يلتقى مع كلامهم فى موضع آخر ، وذلك عندما يتحدثون عن أصل الألف فى عصى ورحى ، ويقولون إنه الواو فى الأولى والياء فى الثانية .

---

(١) ٢٣٨/٤ ، ٢٥٦ الكتاب ، والمراجع السابقة

(٢) ٤٩٧/٢ اللهجات العربية فى التراث

(٣) ينظر ٢٤٤ بحوث ومقالات ، ٢٦٣ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى .

(٤) ينظر ٣٣٩/٢ شرح التصريح على التوضيح

٢ ـ وقف أزد السراة على المنون المرفوع والمجرور :

قبيلة أزد السراة تقف على المنون المنصوب والمرفوع والمجرور بطريقة واحدة ، وهى إبدال التنوين حرفا يناسب الحركة السابقة عليه كما قال ابن يعيش وجماعة النحويين ، « فيبدلون ويقولون : هذا زيدو بالواو ، وفى الجر مررت بزيدى »[1] بالياء ، أو بإسقاط التنوين والتعويض عنه بمد الحركة السابقة عليه كما قال[2] ابن الشجرى ، وهذا معناه أن تلك القبيلة كانت تفضل المقطع المفتوح وتؤثره على المقطع المغلق فى الوقف على المنون منصوبا كان أم مرفوعا أم مجرورا .

والذى نتصوره أن قبيلة أزد السراة عندما كانت تقف على المنون المرفوع والمجرور «زيدٌ» كانت تسقط حركة الإعراب والتنوين من المقطع الأخير وهو (دُنْ = ص ح ص) ، ولم يشاءوا أن يصلوا إلى النهاية الصوتية المقبولة بواسطة ضم الصامت المتبقى إلى المقطع السابق عليه كما فعلت اللغة النموذجية ، وإنما وصلوا إلى ذلك بواسطة التعويض عن الصامت الساقط وهو التنوين بحركة طويلة من جنس الحركة الإعرابية الساقطة ، فقالوا : « زيْدُو» فى الرفع ، و« زيْدِى » فى الجر .

---

(١) ينظر ٩/٧٠ شرح المفصل لابن يعيش

(٢) ينظر ص ٨١ حوليات كلية الآداب نقلا عن ١/٢٨٠ أمالى ابن الشجرى

وقد دعاهم إلى ذلك الحرص (١) على بيان الحركة الإعرابية ، إذ كانت الحركة الطويلة المعوض بها تدل على نوع الحركة الإعرابية المحذوفة .

ويبدو أن أزد السراة كانوا متأثرين فى ذلك باللغة النبطية ؛ لأن «النبط كانوا كالعرب الآخرين يعرفون علامات الإعراب الثلاثة ، وكانوا يطيلونها عندما تجرد الأسماء من الإضافة ، وضاعت تلك الحركات فى ثنايا التاريخ عندما نسى النبط استخدام هذه الحركات استخداما صحيحا عندما اختلطوا بالآراميين» (٢) ، وذلك السلوك اللغوى له بقايا فى النطق والكتابة ، ففى نواحى «الحُدَيْدَة» باليمن تنطق الأعلام والأسماء بضمة مشبعة » (٣) ، ومازالت بعض الكلمات مثل كلمة «عمرو» تكتب بواو زائدة على النطق ، وربما كانت منطوقة فى وقت ما على نحو ما كان شائعا عند النبط وأزد السراة .

وإذا صح ذلك تكون لهجة أزد السراة هى الأصل الذى تطورت عنه اللغة النموذجية بالنسبة للوقف على المنون المرفوع والمجرور ، بينما تكون اللغة الفصحى الأصل الذى تطورت عنه لهجة ربيعة والعربية الحديثة فى الوطن العربى بالنسبة للمنون المنصوب .

---

(١) ٢/٢٨٠ شرح الشافية للرضى

(٢) ٢٢ ، ٢٣ دراسات فى اللغة العربية د. خليل نامى

(٣) من السابق

٣ ـ الوقف على ضمير المتكلم (أنا):

جاء في كتاب الحجة لابن خالويه: « وفي أنا أربع لغات: أنا فعلت، وأنَ فعلت، وأنْ فعلت، وأنهْ فعلت »(١).

والصورة الأولى التي تثبت الألف في الضمير (أنا) وصلا ووقفا تمثل لغة بني تميم، وعليها وردت قراءة نافع للآية (أنا أحيي وأميت) (٢).

ويبدو أن الألف التميمية متطورة عن الهمزة التي كانت في نهاية ضمير المتكلم (أنا) في حال الوصل، إذ قد ثبت (٣) أن الضمير المذكور كان في مرحلة ما من مراحل اللغة العربية يكتب «أنأ» بهمزة نهائية، ويظن أنها كانت خاصة بالوصل، فإذا وقف عليها صارت إلى الألف لأن الوقف محل تغيير وتخفيف واستراحة من جهة، ولأن كل حرف إذا سكن خف إلا الهمزة فإنها إذا سكنت ثقلت كما قال (٤) ابن الجزري.

أما الحجازيون ـ وهم أهل تخفيف ـ فقد كانوا يستعملون الصورة الثانية التي ذكرها ابن خالويه في حالة الوصل، فإذا وقفوا صاروا إلى الألف لبيان حركة النون، وهذا يتفق مع استساغة لغتهم ـ وهي التي

---

(١) ص ١٠٠ الحجة في القراءات السبع
(٢) البقرة ٢٥٨، وينظر ٢/٢٨٨ البحر المحيط
(٣) ٨٢، ٨٣ دراسات في اللغة العربية د. خليل نامي
(٤) ٢٣ التمهيد في علم التجويد

صارت الفصحى - للمقطع المفتوح المنبور نبرا طوليا فى الوقف ، وقد قلنا فيما سبق إن الفواصل القرآنية التى يوقف عليها بذلك المقطع (ص ح ح) تصل إلى عشرين بالمائة من جملة الفواصل القرآنية .

ويظهر أن بعضاً من أهل الحضر كانوا يبالغون فى التخفيف ، فيحذفون الحركة التي على النون ، ويقفون بالسكون كما هو الحال فى الصورة الثالثة التى حكاها ابن خالويه ، فهى صيغة خاصة بالوقف ، أى أن الحجازيين كانوا يقولون فى الوصل «أنَ فعلت» فإذا وقفوا قال بعضهم «أنا» وقال آخرون « أنْ » .

أما الصيغة الرابعة التى وردت فى نص ابن خالويه السابق فيبدو أن أهلها كانوا يصلون الضمير على طريقة أهل الحجاز فيقولون « أنَ فعلت » ويقفون عليه كما يقف أهل البادية فيلحقون به هاء السكت . يقولون «أنه» ، وهم بذلك يحققون السرعة فى النطق فى الوصل والوقف ، وهؤلاء الذين يقفون بالهاء يجمعون بين السرعة وبيان الحركة التى قبل الهاء ، وهم من عليا تميم وسفلى قيس كما قال[١] الفراء ، أو من طيء كما قال[٢] بعض العلماء .

٤ - الوقف بالجيم على ما آخره ياء :

تحدث علماء اللغة والنحو عن إبدال الياء المشددة جيما فى الوقف ، قال

---

(١) ٢/١٤٤ معانى القرآن الفراء

(٢) ٢/٥٠٥ اللهجات العربية فى التراث

سيبويه : « وأما ناس من بنى سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف ، لأنها خفية ، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف ، وذلك قولهم : هذا تميمجّ يريدون تميمىّ ، وهذا علجّ يريدون علىّ ، وسمعت بعضهم يقول : عربانج يريدون عربانىّ ، وحدثنى من سمعهم يقولون :

خالى عويف وأبو علجّ   المطعمان اللحم بالعشجّ

وبالغداة فلق البرنجّ

يريد بالعشىّ والبرنىّ ، فزعم أنهم أنشدوه هكذا »(١) ، وقد أورد ابن السكيت الرجز السابق — مع بعض اختلاف في روايته — منسوبا إلى رجل من أهل البادية ، ثم نقل عن أبى عمرو بن العلاء ما نصه «قلت لرجل من بنى حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فُقَيْمِجّ ، قال : قلت : من أيهم ؟ قال : مُرِّجّ . يريد فقيمىّ ومرىّ »(٢) .

وقد صرح الرضى بنسبة هذه الظاهرة إلى بنى تميم ، وبأنها تكون في الياء الخفيفة مثلما تكون في الياء الشديدة ، وأنشد لأبى زيد :

يارب إن كنت قبلت حجتجْ

فلا يزال شاحج يأتيك بجْ

أقمر نهات ينزى وفرتجْ(٣)

---

(١) الكتاب ٤/١٨٢

(٢) ص ٩٥ كتاب الابدال لابن السكيت

(٣) ٢/٢٨٧ شرح الشافية للرضى ، ١٦٤ النوادر في اللغة لأبى زيد الانصارى

.. وقد علل ابن يعيش وغيره إبدال الياء جيما فى الوقف « بأن الياء خفية وهى من مخرج الجيم ، فلولا شدة الجيم لكانت ياء ، ولولا لين الياء لكانت جيما »[١] .

نعم العلاقة الصوتية بين الياء وبين الجيم متحققة ، فهما من مخرج واحد تقريبا وهو وسط اللسان مع مايقابله من الحنك الأعلى، وهما يشتركان فى الجهر والانفتاح والاستفال والإصمات ، ولايختلفان إلا فى كون الجيم شديدة ، وكون الياء متوسطة بين الشدة والرخاوة ، ولذا فليس يستغرب أن يختار أصحاب هذه الظاهرة الجيم فى الوقف ؛ لأنها أبين من الياء ، وفى اختيارها تجنب لتكرار ثلاثة أشياء من جنس واحد ، أعنى الكسرة والياءين ، ويبدو أن ما وسم بالقبح فى هذه الظاهرة خاص بإبدال الياء غير المشددة الذى نسبه أبو زيد لأهل اليمن ، وهو المنقول عن بنى جرم من قضاعة[٢] .

ويبدو أن بعض القبائل المجاورة لبنى تميم قد تأثرت بتلك الظاهرة ومن ذلك البعض قبيلة هذيل ، فقد نُسِبَ إلى عبد الله بن مسعود أنه قال[٣] « على كل غَنِجٍّ » يريد على كل غنىّ ، وثبت أن أبا جهل خاطبه بلهجة

---

(١) ٩/٧٤ شرح المفصل لابن يعيش

(٢) ينظر ١٢٥، ١٢٦ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى، ١٥ - ٢٨ لهجات العرب لأحمد تيمور

(٣) ١٢٨ من لغات العرب : لغة هذيل

قومه الهذليين ، قال[1] ابن مسعود : فلما وضعت رجلي على مُذَمَّر أبي جهل - أي على رقبته - قال : أَعْلِ عَنِّجْ ، أي تَنَحَّ عَنِّي ، وأراد بِعَنِّجْ : عَنِّي ، وهي لغة هذيل التي تقلب الياء جيما في الوقف .

٥ - إبدال الكاف المكسورة شينا في الوقف :

اللغة النموذجية تقف على الكاف التي هي علامة المضمر المؤنث بالسكون وبجانب ذلك توجد صورتان .

الأولى تبدل الكاف شينا في الوقف ، وقد عزاها سيبويه[2] إلى ناس من تميم وأسد ، وبيّن أن الباعث على ذلك هو الفصل بين المذكر والمؤنث بل التحقيق والتوكيد في الفصل .

وقد كشف المبرد في عبارة واضحة عن العلاقة بين الكاف والشين ، فنص على أن « بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا ؛ لقرب الشين من الكاف في المخرج ، وأنها مهموسة مثلها ، فأرادوا البيان في الوقف ؛ لأن في الشين تفشيا ، فيقولون للمرأة : « جعل الله لش البركة في دارشْ ، وويحش مالشْ » والتي يدرجونها يدعونها كافا ، والتي يقفون عليها يبدلونها شينا » [3] ، فالعلاقة الصوتية

---

(١) ٤/٣٠٩٠ لسان العرب « علا » ، ٢/٧٨ تاج العروس « عنج »

(٢) ٤/١٩٩ الكتاب

(٣) ٢/١٦١ الكامل في اللغة والأدب

الى بين الكاف والشين متحققة ، وهى اقتراب المخرجين ، فالكاف تخرج من أقصى اللسان مع ما يقابله من سقف الحنك ، وهى أدنى إلى مقدم الفم من مخرج القاف ، والشين تخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى (١) ، فهما قريبان فى المخرج ، ويشتركان فى صفات الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات ، ولا يختلفان إلا فى أن الكاف شديدة رخوة ، والشين أبين فى السمع لما فيها من التفشى والانتشار فى الفم .

ويبدو أن ذلك الابدال لم يكن خاصا بالوقف ، لأن عبارة سيبويه «وذلك قولك: إنّشِ ذاهبةٌ ، ومالَشِ ذاهبةً ،تريد : إنكِ ومالكِ »(٢) قد ضبطت فيها الشين بالكسر ، وكذلك وردت فى نص الثعالبي : الكشكشة تعرض فى لغة تميم كقولهم فى خطاب المؤنث : ما الذى جاء بِشِ ؟ يريدون بِكِ .

وقرأ بعضهم « قد جعل رَبُّشِ تَحْتَشِ سريا » لقول القرآن « قد جعل ربك تحتك سريا »(٣) ، وقد أشار ابن جنى إلى ورود ذلك فى غير الوقف فقال : « ومن العرب من يبدل كاف المؤنث فى الوقف شينا حرصا على البيان ، لأن الكسر الدالة على التأنيث فيها تخفى فى الوقف ، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا فقالوا : عَلَيْشْ ، ومِنْشْ ، ومررت بِشْ ، ومنهم

---

(١) ١/٥٢ سر صناعة الإعراب
(٢) ٤/١٩٩ الكتاب
(٣) ١٠٧ كتاب فى فقه اللغة وسر العربية ، مريم ٢٤

من يجرى الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضا ، وأنشدوا المجنون :

فعيناش عيناها وجيدُش جيدها
سوى أن عظم الساق منش دقيق
» ... ... (١)

إذن الأصل فى إبدال الكاف شيناً أن يكون فى الوقف ، وما ورد فى الوصل مقيس على الوقف وجار مجراه أو من العوارض التى تعترض فى لغة العرب .

أما الصورة الثانية وهى أقل من سابقتها فقد عبر عنها ابن جنى بقوله : « وربما زادوا على الكاف فى الوقف شيناً ، حرصاً على البيان أيضا فقالوا : مررت بِكِشْ ، وأعطيتكِيشْ ، فإذا وصلوا حذفوا الجميع »(٢) ، ولعل هذه القلة هى التى جعلت بعض العلماء يصف تلك الصورة التى تزاد فيها الشين على الكاف بالقبح(٣) ، ذلك لأن الزيادة ليست مستحبة فى الوقف بصفة عامة ، لأن الوقف موضع استراحة وتخفيف ، وهما يتحققان بالحذف وإنقاص أواخر الكلمات أكثر مما يتحققان بالزيادة عليها .

هذا وبعض العلماء(٤) لا يرى أن مصطلح « الكشكشة » مقصور على

---

(١) ١/٢١٦ سر الصناعة
(٢) ١/٢١٧ سر الصناعة
(٣) ص ٢٥ الصاحبى لابن فارس ، ١/٢٢٢ المزهر للسيوطى
(٤) ينظر ١٢٤ ، ١٢٥ فى اللهجات العربية

الضرورتين اللتين ذكرناهما ، وليس خاصاً بكاف المؤنث ، ولا بتلك التي تقع في نهاية الكلمة ، ولا بحالة الوقف وحدها ، وإنما يطلق على قلب الكاف التي يليها صوت لين أمامي أياً كان موضعها في الكلمة إلى نظيرها من أصوات وسط الحنك ، فيسمع ذلك الصوت المركب (تش) كما في اللهجات العربية الحديثة في بعض نواحي العراق وجهات محافظة الشرقية في مصر .

ولكن دقة القدماء في وصف(١) الظاهرة اللغوية وملاحظتها تقف حائلا في وجه ذلك الرأي وتقلل من قيمته ، إذ لم يكن يعجزهم أن يميزوا بين الصوت المنطوق به في الوقف شيئاً مفردة أو مركبة مع التاء ، وربما كان الأقرب إلى الصواب تخصيص(٢) مصطلح الكشكشة بزيادة الشين بعد الكاف المكسورة ، لقولهم (كِشْ ، كِشْ) ولأنهم وسموها بالقبح لما فيها من عدم التخفيف والراحة وهما غرضان من أغراض الوقف .

٦ ـ إبدال الكاف سينا في الوقف :

من العرب من يقف على كاف الخطاب التي للمؤنث بإبدالها سينا مهملة أو بزيادة تلك السين بعدها ، تماماً كما فعل ناس من تميم وأسد في الشين التي تزاد عقب الكاف أو تبدل منها ، ومثلما سميت الظاهرة مع الشين

---

(١) تراجع أقوالهم مجتمعة في لهجات العرب لأحمد تيمور من ص ٦١ إلى ٧٩ .
(٢) ينظر ١٩١ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني .

بالكشكشة سميت مع السين المهملة بالكسكسة ، وكثيراً ما يقرن العلماء بينهما عند الحديث على كيفية الوقف على كاف الخطاب المؤنث ، نرى ذلك في الكتاب لسيبويه ، وإن لم يعن بذكر المصطلح الخاص بكل منهما ولم يكن حديثه عن السين المهملة مفصلا مثل حديثه عن الشين المعجمة ، فقد اقتصر على زيادة السين المهملة بعد الكاف دون أن يتطرق لموضوع البدل ، قال :

« واعلم أن ناساً من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث .. وذلك نحو أعطيتُكِسْ وأكرمُكِسْ ، فإذا وصلوا لم يجيئوا بها ، لأن الكسرة تبين »(١) ، ونراه أيضاً لم ينسب تلك الزيادة لقوم بعينهم ، وكذلك فعل ابن جني (٢) .

أما المبرد فقد كان كلامه أكثر تفصيلا ، قال : « وأما بكر فتختلف في الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا ، كما يفعل التميميون في الشين ، وهم أقلهم ، وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين فيزيدونها بعدها فيقولون : أعطيتُكِيسْ »(٣) ، ومن هذا النص نتبين أن هناك تناظراً كاملا بين الكشكشة والكسكسة في رأى المبرد ، فكلتاهما تكون بالإبدال أو بالزيادة ، والغرض في كلا الحالين واحد هو الفصل

---

(١) ٤/١٩٩ الكتاب

(٢) ١/٢١٤ سر الصناعة

(٣) ٢/١٦١ الكامل في اللغة والأدب

بين المذكر والمؤنث في حال الوقف، ففي الإتيان بالشين أو بالسين علامة على المخاطب المؤنث ، وفي « تركهما بيان التذكير » (١) ، والمتكلمون بالكشكشة أو بالكسكسة من القبائل البدوية، إلا أن بني تميم يؤثرون الشين المعجمة ، وبكر بن وائل من أسد يفضلون الوقف بالسين المهملة ، وكلاهما صوت بَيِّنٌ ، فالشين أبْيَن من الكاف بما فيها من التفشي والسين أبْيَن منها أيضاً بما فيها من الصفير .

والسين المهملة وإن كانت تشارك الكاف في صفات الهمس والانفتاح والاستفال والإصمات لكنها ليست قريبة من الكاف كقرب الشين ؛ لأن المهملة من أصوات مقدم الفم ، « وتخرج مما بين الثنايا وطرف اللسان» (٢) ويبدو أن الذي سوغ التبادل بينهما أي بين الكاف والسين المهملة ما يحدث من المماثلة بين السين وكسرة الكاف اللاحقة في حال الإبدال أو المتوقعة في حال الزيادة ، لأن كلاهما صوت أمامي ، فالكسرة صائت أمامي ، وكذلك السين المهملة صامت أمامي أيضاً .

هذا وقد فرق السيوطي بين الكشكشة والكسكسة من حيث إن المبدل منه في الأولى هو كاف الخطاب للمؤنث ، بينما المبدل منه في الثانية كاف الخطاب التي للمذكر ، وهذه عبارته « الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً ، فيقولون : رأيتُكِش

---

(١) ٤/٢٠٠ الكتاب

(٢) ١/٥٣ سر الصناعة

وبِكِشْ ، وعليكِشْ . ومن ذلك الكسكسة وهى فى ربيعة ومضر يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى المذكر سيناً على ماتقدم ، وقصدوا بذلك الفرق بينهما » (١) ، ويفهم من هـذا النص إن كان صحيحاً أنهم كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث فيجعلون الشين المعجمة للمؤنث ، ويجعلون السين المهملة للمذكر ، ويغلب على الظن أن عبارة السيوطى قد دخلها التحريف وأن قوله (فى المذكر) المثبتة فى النص الذى نقلناه من المزهر صوابه (فى المؤنث) وقد غاب عن أذهان محقق المزهر أن ضمير المثنى فى قول السيوطى : (وقصدوا بذلك الفرق بينهما » عائد على الكشكشة والكسكسة ، وليس على المؤنث والمذكر ، فالشين والسين كلاهما يلحق الكاف فى التأنيث ، وفى تركهما بيان التذكير كما صرح بذلك سيبويه فيما نقلناه عنه آنفا .

ونقول مثلما قلناه سابقاً إن الأليق بمصطلح الكسكسة أن يكون خاصاً بزيادة السين المهملة بعد الكاف لقولهم فيها (كِسْ كِسْ) وعلتها فى اللغات المذمومة (٢) راجع إلى أن الوقف محل تخفيف وحذف فالهاء وبهما تتحقق الاستراحة التى ينشدها الواقف أكثر مما تتحقق بالزيادة .

---

(١) ٢٢١/١ المزهر للسيوطى ، ٨٣ لهجات العرب لأحمد تيمور .

(٢) ص ٨٤ لهجات العرب لأحمد تيمور نقلا عن حاشية الاقتراح لابن الطيب المسماة « نشر الانشراح » ص ٤٤١

الفصل الثامن

الوقف على المختوم بالتاء

الكلمة المختومة بالتاء إما أن تكون اسما أو فعلا أو حرفا ، فإن كانت فعلا أو حرفا لم تتغير التاء وصلا ووقفا ، فيقال في الفعل : قامتْ وقعدتْ ، وفي الحرف رُبَّتْ وثُمَّتْ ، والسر في عدم تغييرها إلى الهاء في الوقف هو الخوف من التباس تلك الهاء بالضمير (١) ، إذ كان يقال في الوقف على ما سبق : قامهْ ، وقعدهْ ، وربهْ ، وثمهْ ، واللغة العربية من اللغات الراقية التي تنفر من كل ما يؤدي إلى التباس المعاني وعدم فهمها وتمييزها في ذهن السامع .

وإن كانت الكلمة المختومة بالتاء اسما ، فإما أن تكون التاء للتأنيث أو لغيره ، فإن كانت لغير التأنيث بأن كانت أصلية كما في وقت وبيت أو ملحقة بالأصلية كما في بنت وأخت ، فإنها تلزم صورة التاء في الوصل والوقف ، ليتحقق الفرق[٢] بين الأصلية والملحقة وبين التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث .

وأما إن كانت التاء للتأنيث ولا تكون إلا مسبوقة بفتحة قصيرة نحو : ثمرة وشجرة وطلحة وحمزة ، أو بفتحة طويلة نحو : صلاة وزكاة

---

(١) ينظر ٢١٣/٤ حاشية الصبان على الأشموني

(٢) ينظر ١٦٦/٤ الكتاب ، ٢٨٨/٢ شرح الشافية للرضي

وقناة – فإنها تبقى فى الوصل تاء ، وتصير عند الوقف هاء فى اللغة النموذجية .

وقد صرح القدامى بأن التناوب بين التاء والهاء يعـد من قبيل الإبدال[١] ، لكنهم اختلفوا فى تحديد الأصل المبدل منه ، فذهب الجمهور إلى أن التاء هى الأصل ، والهاء بدل منها فى الوقف ، وعلة ذلك عندهم أن « الوصل من المواضع التى تجرى فيها الأشياء على أصولها . . والوقف من مواضع التغيير والبدل » (٢) وقد خالفهم ثعلب(٣) فذهب إلى أن الهاء أصل فى تأنيث الاسم ، وتقلب تاء فى الوصل خشية الالتباس بالضمير .

وأيا ما كان الأمر فإن التاء والهاء تشتركان فى صفة الهمس ، واختص الوقف بالهاء « لأن فى الهاء همساً وليناً أكثر مما فى التاء ، فهو بمحال الوقف الذى هو موضع الاستراحة أولى » (٤) .

هكذا يحدد القدماء العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل بين التاء والهاء ، وهى من وجهة نظر المحدثين غير كافية بل غير معتد بها أصلا ، « وليس ثمة علاقة صوتية بين التاء والهاء » ، وإنما التفسير المناسب لحلول الهاء فى الوقف محل التاء فى الوصل هو « أن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث ،

---

(١) ينظر ٣١٢/٢ الكتاب ، ٦٢/١ المقتضب للمبرد
(٢) ١٥٩/١ المنصف لابن جنى
(٣) ينظر ٢٨٩/٢ شرح الشافية للرضى
(٤) السابق

فبقى المقطع السابق عليها مفتوحا ذا حركة قصيرة ، وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية فى أواخر الكلمات فتتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت ، وهكذا يبدو الأمر كما لو أن تاء التأنيث قد قلبت هاء على أن الحقيقة هى أن الهاء قد سقطت لعلة ، وأن الهاء قد جاءت لعلة أخرى ، فليس بينهما تبادل صوتى كما ترى »[١] .

وهذا الرأى له وجاهته ، لأن الغرض من إثبات التاء فى الوصل هو التفريق بين المذكر والمؤنث ، أما فى الوقف فيحصل الفرق بينهما من ناحية أن المذكر يوقف عليه بالسكون ، وأن المؤنث يوقف عليه بالحفاظ على الحركة القصيرة التى تسبق التاء ، وبناء على ذلك فالتاء التى كانت فارقة بين الجنسين فى الوصل سقطت لكونها غير محتاج إليها فى الوقف ، لأن التمييز بينهما حاصل بالسكون والحركة ، لكن العربى كان يكره الوقف على المقطع المفتوح بالحركة القصيرة ، ولما أراد إغلاقه أتى بهاء السكت لغلق المقطع الموقوف عليه من جهة ، والمحافظة على تلك الحركة القصيرة من جهة أخرى « حتى تتضح تماما فتتحدد دلالتها فتفرق بين المؤنث والمذكر الموقوف عليه بالسكون »[٢] .

وكذلك الذى فى آخره تاء وقبلها فتحة طويلة ، تسقط منه التاء فى الوقف فيفضى النطق بالفتحة المطولة إلى الهاء ، وهى تؤدى إلى غلق المقطع الأخير

---

(١) ٢٥٧ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى

(٢) يراجع ٧٧ ، ٨٨ التأنيث فى اللغة العربية

الموقوف عليه ، وفوق ذلك فإنها تمنع من التباس المفرد بالجمع فى نحو : الفلاة والقناة والقطاة(١) ، وتحول دون الخلط بين المفردات المؤنثة كالصلاة والزكاة والنواة وبين ما يشبهها فى الرسم من الأسماء المقصورة المغايرة لها فى المعنى وهى الصلا ، والزكا ، والنوى(٢) .

ومن قديم ربط ابن جنى بين الهاء الموقوف عليها وبين فتحة ماقبل التاء فقال : وإنما أبدلت «تاء التأنيث» هاء لانفتاح ماقبلها»(٣) ، وأراه يعنى قرب الهاء من الفتحة فى طبيعتها الصوتية (٤) ، وأن الإتيان بالهاء عقب الفتحة فى الوقف يحدث نوعا من المماثلة التى تحقق الانسجام الصوتى .

الوقف على جمع المؤنث :

اللغة النموذجية تعامل جمع المؤنث السالم وما أشبهه نحو هندات وأولات وأذرعات وعرفات وهيهات معاملة واحدة فى الوصل والوقف ، فتلزمه التاء فى الحالين ، وكل ما هنالك من فرق بينهما أن الوقف يحدث فيه نوع من

---

(١) الألفاظ المذكورة مفردة ، وجموعها : الفلا ، والقنا ، والقطا

(٢) الصلا هى النار والوقود ، والزكا معناها : الزوج من العدد ، والنوى: هو البعد والناحية .أما النواة فهى النية وبذر التمر والزبيب ونحوهما والصلاة والزكاة : فريضتان فى الإسلام

(٣) ١٦١/١ المنصف لابن جنى

(٤) ينظر ١٨٩، ١٩٥٦ علم اللغة د. السعران، ص ٨٩ الأصوات اللغوية د. أنيس

التخفيف بحذف الحركة الإعرابية والتنوين من المقطع الأخير ، ثم يضم الصامت المجرد من الحركة وهو التاء الوافعة فى نهايات الكلمات المذكورة إلى المقطع السابق عليه فيصير المقطع الأخير (ص ح ح ص) بدلا من (ص ح ص) الذى كان فى حال الوصل ، ويقع النبر[١] حينئذ على المقطع الأخير .

والباعث على ذلك - فى نظرى - تحقيق المخالفة بين المفرد والجمع ، فاللغة النموذجية تقف على المفرد بالهاء ، وعلى الجمع وشبهه بالتاء ليحصل الفرق بينهما ، خاصة وأن التاء فى المفرد لا تدل إلا على التأنيث غالبا ، أما فى الجمع فهى تدل (٢) على التأنيث وعلى الجمع معا . ولذا كان بقاؤها فى الوقف على الجمع هو المنهج الملائم ، وشىء آخر جعلهم يؤثرون التاء بالبقاء وهو خشيتهم أن تلتبس (٣) صيغة جمع المؤنث السالم الموقوف عليها بصيغة المفرد المندوب إذ لو قيل فى الوقف على مسلمات : مسلماه ، لوقع اللبس بين هاء الوقف وهاء الندبة ، لأنهما يشتركان فى أن ما قبلهما فتحة طويلة ، وبخاصة إذا راعينا أن الموقوف عليه لا ينطق معربا ، بل ينطق بالسكون كالمندوب .

لهجة طىء :

قال الفراء : والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيئاً ، فإنهم

(١) ينظر ١٤٧ ، ٤٨ ، فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس
(٢) ينظر ٢/ ٢٠٩ الهمع ، و ٢/ ٣٤٣ شرح التصريح على التوضيح
(٣) ينظر ص ٦٣ التأنيث فى اللغة العربية

يقفون عليها بالتاء ، فيقولون : هذه أمتْ ، وجاريتْ ، وطلحتْ »[١]، « وقال الصاغانى فى العباب : ومن العرب من إذا سكت على الهاء جعلها تاء ، وهو طيء ، فقال : هذا طلحتْ ، وخبز الذُّرَت . وقال ابن المستوفى أيضاً . وجدت فى كتاب أنها لغة طيء »(٢) .

وهذه اللهجة وصفها ابن عقيل بالقلة فقال «وقلّ الوقف على المفرد بالتاء نحو فاطمت »(٣) ، وهو يقصد أنهـا قليلة نسبياً ، أى بالنظر إلى اللغة النموذجية التى تقف بالهاء ، أما بالنظر إلى تلك اللهجة نفسها ودورانها فى ألسنة الطائيين ومن تأثر بهم فلا يمكن عدها قليلة ، بل - كما قال ابن يعيش - « هى لغة فاشية حكاها أبو الخطاب »(٤) ،وقد وردت فى أشعار الطائيين وغيرهم ، ومن ذاك قول سور الذئب وهو شاعر طائىّ :

مابالُ عينى عن كراها قـد جَفَتْ

مسبلةً تَسْتَنُّ لمـا عرفتْ

داراً لليلى بعد حول قد عَفَتْ

بل جَوْزِ تيهاء كظهر الحَجَفَتْ (٥)

---

(١) ٦/٤٥٩٧ وما بعدها من لسان العرب

(٢) ٤/١٩٩ شرح الشواهد الشافية للبغدادى

(٣) ٢/١٧٧ هامش حاشية الخضرى على ابن عقيل

(٤) ٩/٨١ شرح المفصل

(٥) ١/٣٠٤ من الخصائص ، ١/١٧٧ سر الصنـاعة ، ١٩٨ ، ٢٢٠ شرح شواهد الشافية ، ص ٢٩٥ شرح شواهد الايضاح ، ٩/٨١ شرح المفصل

فقال : الحجفت ، وهو يريد الحجفهْ ، أى الترس من الجلد .

ومنه قول أبى النجم وهو شاعر أسدى

الله نجاك بكفى سلمتْ من بعدما وبعدما وبعدمتْ

صارت نفوس القوم عند الغلصمتْ

وكادت الحرة تدعى أمتْ[1]

فقال : مسلمتْ ، والغلصمتْ ، وأمتْ ، وهو يريد : سلمهْ ، والغلصمهْ ، وأمهْ .

بل إن بعض القرشيين جرى فى وقفه على تلك اللهجة ، ومن ذلك ما نسب إلى هند بنت عتبة وهى ترثى أباها :

يدفع يوم المغلبتْ

يطعم يوم المسغبتْ[2]

تريد : يوم المغلبهْ ، ويوم المسغبهْ .

وقد ثبت وقوع ذلك الوقف بالتاء فى القراءة القرآنية ، فالكلمات المفردة المؤنثة التى رسمت فى المصحف بتاء مبسوطة ـ وعددها ثلاث عشرة كلمة ـ وقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائى، وكذا يعقوب ،

---

(١) السابق من الخصائص وسر الصناعة، ٢/٢٨٩ شرح الشافية ٢/٣٤٤ شرح التصريح

(٢) ٥/٢١٧٩ لسان العرب، و١/٤١٤ تاج العروس مادة « غلب »

ووافقهم اليزيدى وابن محيصن والحسن . وهى لغة قريش ، ووقف الباقون نافع وابن عامر وحمزة ـ بالتاء موافقة لصريح الرسم وهى لغة طيء (١) .

ومن ذلك على سبيل المثال آية الدخان (إن شَجَرَتَ الزقّوم) (٢) ، وآية الروم (فِطْرتَ الله التى فطر الناس عليها) (٣) ، وآية هود (بَقِيَّتُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) (٤) ، حيث يقال : شجرتْ ، وفطرتْ ، وبقيتْ بالتاء الساكنة عند الوقف عليها فى قراءة نافع وابن عامر وحمزة الموافقة للهجة طيء .

وتلك اللهجة لها نظائر فى القديم والحديث ، أما فى القديم « فقد بقيت تاء التأنيث كما هى فى الآشورية والحبشية فى حالتى الوصل والوقف » (٥) .

وثبتت كذلك فى الحالين فى لغة حمير ، تدل على ذلك القصة التى ذكرتها المعاجم العربية ، وهى أن أعرابياً دخل على ملك لحمير ، فقال الملك له ثِبْ ، أى اجلسْ ، فوثب الأعرابى فتكسر ، فسأل الملك عنه ، فأخبر بلغة

---

(١) ١٢٩ ، ١٣٠ النشر ، وص ١٠٣ الاتحاف و ٢/ ٣٤٢ شرح التصريح ، ٩٧ رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د. عبد الحى الفرماوى

(٢) الآية ٤٣

(٣) الآية ٣٠

(٤) الآية ٨٦

(٥) ص ٢٥٧ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى

العرب ، فقال : ليس عندنا عَرَبِيَّتْ ، من دخل ظفار حَمَّر[١] أى ينبغى عليه أن يتكلم بلغة حمير ، والشاهد لفظ عَرَبِيَّتْ ، حيث وقف الملك بالتاء جريا على لغته الموافقة للهجة طيء ، وكذلك نسب الفيومى إلى حمير أنهم يقفون بالتاء على المفرد المؤنث ، فيقولون : « ثَمَرَتْ »[٢] فى الوقف على ثمرة .

وأما فى الحديث فقد احتفظت اللهجات العربية المعاصرة بتلك الطريقة فى الوقف على المفرد المؤنث المختوم بالتاء ، ففى كثير من أنحاء الوطن العربى وبخاصة فى مصر والشام نسمع الأعلام والألقاب التركية التى دخلت إلى الأقطار العربية وصارت تنطق وتكتب بالتاء المبسوطة ، وذلك نحو : حشمتْ ، ورأفتْ ، وعصمتْ ، ونشأتْ ، وألفتْ ، ومدحتْ ، وطلعتْ ، وعزتْ ، وعفتْ ، وبهجتْ ، وشوكتْ ، وثروتْ . . . ، وربما كان فى رسمها كذلك دلالة على كيفية الوقف عليها كما تقضى بذلك القاعدة العربية فى الكتابة[٣] .

ومن ذلك أيضاً قول أهل الشام فى الوقف : تعلمت الفَلْسَفَتْ ، وقرأت الكتب الأَدَبِيَّتْ (٤) .

---

(١) ٦/٤٧٦٢ لسان العرب ، ٤/٣٠ القاموس المحيط ، ١٠/٤٩٩ تاج العروس

(٢) ص ٦٤٤ المصباح المنير مادة « هوى »

(٣) ينظر ٢/٢١٢ الاتقان فى علوم القرآن ط ١٩٧٨ م الرابعة ، ٢/٣١٥ بشرح الشافية

(٤) ص ١٤٧ علم اللغة د. فاطمة محجوب

هذا ومازالت آثار تلك اللهجة المنسوبة لطيء منتشرة فى بعض المناطق من شبه الجزيرة العربية كالقصيم[1] مثلا ، حيث يقف الناس بالتاء فى لهجات الخطاب على تاء التأنيث المسبوقة بالألف فى نحو الصلاة والزكاة ، وقد سمعت أنا ذلك فى مدينة عرعر بشمال المملكة العربية السعودية ، حيث يقول المؤذن عند الإقامة : حيّ على الصّلاتْ . . قد قامت الصّلاتْ ، فيقف بالتاء ساكنة .

وكما خالف الطائيون اللغة النموذجية فى الوقف على المفرد المختوم بالتاء ، خالفوها كذلك فى الوقف على جمع المؤنث السالم وشبهه ، فقالوا : كيف البنون والبناهْ ؟ يريدون البنات ، وقالوا : كيف الإخوة والأخواهْ ؟ وهم يقصدون الأخوات ، ونطقوا : دفن البناهْ من المكرماهْ ، حكاه قطرب عنهم ، وحكاه الفراء أيضا (٢)

وما فعلوه فى الوقف على جمع المؤنث صنعوا مثله فيما فيه تاء طويلة من الأسماء المذكرة ، فقد روى[3] عنهم (التابوهْ) فى التابوت ، و (الفراهْ) فى الفرات ، وروى مثل ذلك عن الأنصار (٤) ، وبلغتهم قرأ زيد بن ثابت

---

(١) ينظر ص ٢٦١ بحوث ومقالات فى اللغة د. رمضان عبد التواب

(٢) ينظر ص ٢٩٥ شرح شواهد الايضاح لأبى على الفارسى ، ٢/٣٤٣ شرح التصريح

(٣) ص ٦٢ دراسة اللهجات العربية القديمة د. داود سلوم

(٤) ١٤٢ ، ١٤٣ الشوارد فى اللغة للصاغانى ، و١/١٥ لسان العرب

وأبى كعب رضى الله عنهما « أن يأتيكم التابوه »[١] .

ومع أن بعضا من القدامى[٢] والمحدثين فسروا تلك المخالفة « بظاهرة الشذوذ اللاشعورى فى النطق »[٣]، فقد حاول آخرون أن يجدوا لها التفسير الملائم باعتبارها لغة وليست ضرورة ولا ضربا من الشذوذ ، فكان بعضهم يرى أن قبيلة طىء كانت من القبائل التى لا تنتظر الوصول إلى نهايات الكلمات المنطوقة فى حال الوقف ، فتسقط التاء من آخر جمع المؤنث ، مثلها فى هذا مثل معظم الحروف الشديدة المهموسة حين تتطرف فى الكلمة الموقوف عليها ، وكما كرهوا الوقف على الحركة القصيرة بعد سقوط التاء فى المفرد ، كرهوا الوقوف على الحركة الطويلة بعد سقوطها فى جمع المؤنث ، فامتد نفسهم حتى سمعت بعد الألف تلك الهاء التى يسميها النحاة بهاء السكت[٤] .

وهذا يتفق ومذهب طىء فى الحيف على أواخر الصيغ ، وهو المعروف بقطعة طىء ، ثم إن قبائل البدو عامة كانت تشيع فيهم تلك الظواهر ، يقول ابن جنى « إن عامة عقيل تقول فى الفرات : الفراه »[٥] ، وما عقيل إلا قبيلة بدوية كطىء ، وعلى غرار ذلك وردت قراءة الكسائى والبزى

(١) البقرة ٢٤٨ .

(٢) ٢٩٥ شرح شواهد الإيضاح

(٣) ١٣٩ دراسات فى فقة اللغة د. صبحى الصالح

(٤) ٢٣١ ، ٢٣٢ من أسرار اللغة مع تصرف فى العبارة .

(٥) المحتسب ٢٢٢/١ ، وانظر مجلة مجمع اللغة العربية ٩٦/٣٨

« هيهاهْ هيهاهْ » (١) وهى معزوة فى الأشمونى (٢) لطىء .

ويرى البعض الآخر أن الطائيين قاسوا تاء جمع المؤنث السالم على تاء تأنيث المفرد ، ولاسيما تلك التاء التى تقع فى المفرد بعد ألف ، مثل تاء : صلاة، وزكاة ، وحياة ، وقناة، وأداة ، وأناة ، ونجاة ،وحماة ،وفلاة ،ووفاة وحصاة ، ونواة ، وفتاة ، ودواة ، ومهاة وغيرها(٣) ، وذلك الرأى قد سبق إليه الشيخ خالد الأزهرى(٤) ، إذ قد صرح بأن طيئا قامت بإبدال تاء الجمع هاء فى الوقف تشبيها بتاء التأنيث الخالصة .

هذا ما قاله العلماء ، ويمكننا أن نفسر منهج اللغة النموذجية وطريقة طىء فى الوقف على الأسماء المؤنثة بتفسير واحد ، وهو المخالفة بين أدنى العدد وجمعه ، حيث رأينا أن جمهور العرب الذين يقفون على المفرد بالهاء يقفون على جمعه السالم بالتاء ،وأن الطائيين أصحاب اللغة المرجوحة وقفوا على المفرد بالتاء المبسوطة ، وعندما أرادوا الوقف على الجمع صاروا إلى الهاء بمخالفة المفرد فى لهجتهم .

---

(١) المؤمنون ٣٦
(٢) ٢١٤/٤ شرح الأشمونى
(٣) ص ٢٦١ بحوث ومقالات فى اللغة د. رمضان عبد التواب
(٤) ٣٤٣/٢ شرح التصريح على التوضيح

الفصل التاسع

الوقف بزيادة هاء السكت

للهاء استخدامات أخرى غير ما تكون عليه فى التأنيث ، من أشهرها أنها تكون ضميرا ، وللتنبيه ، ولتكثير أصوات كلمة ما ، ولحماية حركات ما من الإسقاط بذكرها تالية لها[1] وهذا الاستعمال الأخير الذى تحمى فيه الهاء الحركات من الحذف يتمثل فى هاء السكت .

وهاء السكت هذه ـ كما قال أحد[2] الباحثين ـ تسمى بهاء الوقف أو هاء الاستراحة ، وهذا الاسم (الاستراحة) مطابق تماما لما يحدثه صوت الهاء عند النطق به من إرسال النفس الخالص دون إعاقة ، ثم استناد الناطق بعد ذلك إلى الخفوف أو الاحتكاك الذى ينتج من ضيق مجرى النفس عند الحلق أو الحنجرة ، وفى هـذا إراحة له ، أي لنفس الناطق .

ومن خصائص هذه الهاء أنها لا تكون إلا زائدة ، ولا تزاد إلا فى الوقف ، أو فيما يجري مجراه ، ولا تكون إلا في آخر الكلمة الموقوف عليها ، ولا تقع إلا بعد حركة متوغلة فى البناء ، سواء أكانت قصيرة نحو

---

(١) ص ٧٦ التأنيث فى اللغة العربية

(٢) ص ١١ الهاء فى اللغة العربية

اغزُهْ ، واخشَهْ ، وارمِهْ ، أم كانت طويلة نحو : وازيداهْ ، وغلامهوهْ واغلامكيهْ .

ومن خصائصها كذلك أنها لا تكون إلا ساكنة « لأنها موضوعة للوقف ، والوقف إنما يكون على الساكن ، وتحريكها لحن وخروج عن كلام العرب » (١)

ومن ذلك نرى أن هاء السكت لها موقعية معينة يطلق عليها « موقعية النهاية » (٢) ، وهى تتمثل فى وقوعها طرفا بعد الحركة من غير إسقاط لشيء من أصوات الكلمة أو مع الإسقاط ، ولها فى كل حالة وظيفة أو عدة وظائف ، كما يتضح من العرض الآتى :

أولا : الحالات التي سقطت فيها بعض أصوات الكلمة :

(أ) الحالة الأولي : تزاد الهاء فيها وجوبا(٣) ، وذلك فى كل فعل أمر بقي على حرف واحد ، كالأمر من وفى ، أو وقى ، أو وعى ، أو وشى ، وهو فى الوصل : فِ ، وقِ ، وعِ ، وشِ ، وفى الوقف : فِهْ ، وقِهْ ، وعِهْ ، وشِهْ .

---

(١) ٩/٤٦ شرح المفصل لابن يعيش

(٢) ص ١٥٢ مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان

(٣) ينظر ٤/١٤٤ الكتاب ، وفى ٢/١٧٨ من حاشية الخضرى وفى الدماميني على المغنى أن نحو هذه الأفعال مما بقى على حرف واحد يكتب بهاء السكت مطلقا ، لكن لا ينطق بها إلا فى الوقف ، فحذفها وصلا إنما هو فى اللفظ لا الخط ا م

(ب) الحالة الثانية : تزاد الهاء فيها جوازا[1] ، وذلك فى فعل الأمر الذى بقى على أكثر من حرف ، نحو : ارْمِهْ ، واخْشَهْ ، فى الوقف .

(جـ) الحالة الثالثة . تزاد الهاء فيها وجوبا عند بعض العرب ، وجوازا عند آخرين ، وذلك فى المضارع المجزوم الذى بقى على حرفين أحدهما زائد ، نحو : لا تَقِهْ من وَقَيْتُ ، وإن تَعِ أَعِهْ من وَعَيْتُ[2] .

(د) الحالة الرابعة : تزاد الهاء فيها جوازا فى الوقف على (ما) الاستفهامية المجرورة بالحرف ، نحو فِيمَهْ ؟ ولِمَهْ ؟ وحتّامَهْ ؟ ووجوبا فى الوقف على المجرورة بالإضافة ، نحو : مجيء مَـــهْ ؟ ومثل مَهْ ؟ واقتضاء مَهْ ؟(٣) .

(هـ) ويلحق بهذه الأربعـــة حروف التهجى المفردة ، قال أبو على الفارسى : « ولو لفظت بالهاء من ضرب لقلت فى قول الخليل ، إن شئت : هَهْ ، وإن شئت هَا »(٤) .

ونحن إذا تأملنا هاء السكت فى مواقعها المبينة فى الحالات السابقة وجدنا لها عدة وظائف هي فى مجملها وظائف صوتية ، وهى على النحو الآتى :

---

(١) ينظر ٤/١٥٩ الكتاب

(٢) ينظر ٤/١٥٩ ، ١٦٠ الكتاب

(٣) ينظر ٤/١٦٤ الكتاب

(٤) ١/٤٧ الحجة في علل القراءات السبع

١ ـ المحافظة على الحركة الموجودة قبلها ؛ وذلك لأن فى الإبقاء عليها دلالة (١) وأمارة على شىء محذوف وهو لام الفعل أو ألف (ما) الاستفهامية ولو وقفنا بالسكون فرضا ولم نأت بهاء السكت لفقد الدليل على المحذوف وهو الحركة ، وفقدنا المدلول عليه أيضا وهو لام الفعل ، أو ألف (ما) الاستفهامية ، فهاء السكت يتوصل بها إلى بقاء الحركة وقفاً كما يتوصل بهمزة الوصل إلى بقاء السكون إبتداء (٢)

٢ ـ الوظيفة الثانية وهى تتصل بالسابقة « بيان الحركة » (٣) الموجودة قبلها ، لأن الحركة إن كانت قصيرة فإنها تشكل مع الصامت الذى قبلها مقطعا قصيرا عبارة عن (ص ح) ، وهو نوع تنفر العرب من الوقف عليه لأن الوقف يضعف الحركة فى النطق ويجعلها لا تتحمل النبر ، فإذا جىء بهاء السكت قويت الحركة وتمكنت لوقوعها حشوا ، وكذلك الأمر بالنسبة للحركة الطويلة ، لأن « حروف اللين الثلاثة إذا وقف عليهن ضعفن وتضاءلن ولم يف مدهن ، وإذا وقعن بين الحرفين تمكن » (٤).

٣ ـ الوظيفة الثالثة لهاء السكت ـ وهى خاصة بالحالتين الأولى والخامسة ـ

---

(١) ينظر ٩/٤٦ شرح المفصل لابن يعيش

(٢) ينظر ٢/٣١٨ المناهج الكافية شرح الشافية ، ٢/١٧٧ حاشية الخضرى

(٣) ٢/٣١٩ الخصائص

(٤) ٣/١٢٩ الخصائص

عليها إلى مقطع متوسط (ص ح ص) يقع النبر عليه فى آخر الكلمة ، وذلك ملحوظ فى فعل الأمر الذى يصاغ من اللفيف المفروق على شكل مقطع تعديل وضع الكلمة ، لأن فعل الأمر المتبقى على حرف واحد ، وحرف التهجى لو لم تلحقهما هاء السكت لتعذر النطق بهما ، إذ يصير كل منهما عند الوقف عليه صامتا مجردا عن الحركة ، وذلك مما يستحيل النطق به فى اللغة العربية ؛ لأن الثابت عند اللغويين[1] أنه لا يبتدأ بساكن ولا يوقف على متحرك ، فلابد من صوت متحرك ، يبتدأ به ، وصوت ساكن يوقف عليه ، وفعل الأمر المتبقى على حرف واحد وحرف التهجى يصيران إلى الوضع المقبول بعد لحاق هاء السكت بهما .

٤ ـ الوظيفة الرابعة هى التعويض عما سقط من الأصوات من أجل الجزم أو البناء فى الفعل ، وعن « سقوط الألف بلا علة ظاهرة » [2] سوى التخفيف فى (ما) الاستفهامية .

٥ ـ الوظيفة الخامسة إغلاق المقطع الأخير الموقوف عليه ، وتلك من أبرز وظائف الهاء التى للسكت عند المحدثين ، حتى قال عنها بعضهم إنها « صوت لا وظيفة له سوى الإقفال »[3] .

٦ ـ الوظيفة السادسة : جعل المقطع الأخير صالحا لإيقاع النبر عليه ، إذ يتحول من مقطع قصير (ص ح) لا يتحمل النبر فى نهاية الكلمة الموقوف

---

(١) ينظر ١/٩١ الخصائص و ٩/٦٧ شرح المفصل ، ٢/٢٩٦ شرح الشافية

(٢) ٢/٢٩٦ ، ١٩٧ شرح الشافية ، ٢/١٧٨ حاشية الخضرى .

(٣) ص ٨٦ القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث

قصير » «ولما كان هذا المقطع القصير أضعف من أن يتحمل النبر نظراً إلى أن النبر يطيل الحركة التى قُصِّرت لهدف آخر لا يمكن تجاوزه نحوياً - وهو ما سمى بحذف حرف العلة - فقد وقعت الكلمة بين ضرورتين : ضرورة التقصير النحوية ، وضرورة التطويل النبرية ، فسلكت اللغة مسلكاً يحقق الهدفين معاً ، بأن أبقت على تقصير الحركة ، وأطالت المقطع بهاء السكت ، فقالت : فِهْ ، قِهْ ، عِهْ ، ... حتى تصلح الكلمة للنبر بمقطعها الطويل المغلق ، فهاء السكت فى هذه الصيغ ضرورة نبرية »[١] .

وما قيل عن فعل الأمر المتبقى على حرف واحد ينطبق على حرف التهجى، وعلى ما الاستفهامية بعد حذف ألفها للتخفيف، حيث يكون المتبقى عبارة عن مقطع قصير (ص ح) لا يقع النبر عليه إلا إذا أغلق بهاء السكت

وكذلك الحال فيما لو كانت الكلمة منتهية بمقطع متوسط مفتوح، نحو « واغلامهمو » إذ لو وقف على المندوب بدون هاء السكت لكان المقطع الأخير غير صالح للنبر ، فإذا لحقته الهاء صار المقطع من الشكل الرابع (ص ح ص ص) وكان محل النبر فى آخر الكلمة .

ثانيا : الحالات التى لم تسقط فيها أية أصوات :

(أ) هاء السكت التى تقع بعد الألف التى فى النداء ، وبعد الألف والواو والياء فى الندبة ، نحو: ياغلاماهْ ، ووازيداهْ ، ووا غلامهوهْ ، ووا ذهاب غلامهيهْ[٢]

---

(١) ص ٢٠٧ علم الأصوات برتيل مالمبرج تعريب د. عبد الصبور شاهين

(٢) ينظر ١٦٦/٤ الكتاب

(ب) هاء السكت التي تلحق بعض أسماء الإشارة المقصورة نحو : هؤلاهْ وهاهناهْ(١) .

(ج) هاء السكت التي تلحق ياء المتكلم المنصوبة أو المجرورة ، نحو : ضربَتْنِيَهْ ، وغلامِيَهْ ، وغلامايَهْ ، ومسلمُويَهْ(٢) .

(د) هاء السكت التي تلحق كاف المخاطب المذكر منصوبة أو مجرورة نحو : هو لَكَهْ ، وأعطيتكَهْ ، وخذه بِحُكْمِكَهْ(٣) .

(هـ) هاء السكت التي تلحق الضمير المنفصل للغائب أو للغائبة نحو : هُوَهْ ، وهِيَهْ(٤)

(و) هاء السكت التي تلحق الحرف الذي قبله ساكن ، وذلك يتحقق فيما يلي(٥) :

١ — في الوقف على الماضي المسند إلى ياء المتكلم ، نحو : انطلقتُهْ

٢ — في الوقف على النون المشددة من ضمير الإناث المتصل أو المنفصل نحو : ضَرَبْتُنَّهْ ، وهُنَّهْ .

---

(١) ينظر ٤/١٦٥ الكتاب

(٢) ينظر ٤/١٦٣ الكتاب

(٣) ينظر ٤/١٦٣ الكتاب

(٤) ينظر ٤/١٦٣ الكتاب

(٥) ينظر ٤/١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ الكتاب

٣ ـ في الوقف على نون المثنى والجمع نحو : ضاربانه ، ومسلمونه .

٤ ـ في الوقف على اسمى الاستفهام : أينه ؟ وكيفه ؟ .

٥ ـ في الوقف على الظرف : ثمّه .

٦ ـ في الوقف على اسم الفعل : هلمّه .

٧ ـ في الوقف على الحرفين : ليتَه ، ولعلّه .

٨ ـ في الوقف على حرف الجواب : إنّه ، بمعنى نعم .

وهاء السكت في كل هذه المواقع لها وظيفة صوتية وهى تمكين الصائت القصير أو الطويل في حال الوقف ، لأن « الوقف يضعف الحرف (اللين الطويل)، ألا تراك تحتاج إلى بيانه فيه بالهاء ، نحو : واغلاماه ، ووازيداه ، وواغلامهوه ، وواغلامهيه ، وذلك أنك لما أردت تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى في السمع ، وكان الوقف يضعف الحرف(حرف اللين) ألحقت الهاء ليقع الحرف قبلها حشوا فيبين ولا يخفى »[1] .

وفي ذات الوقت تقوم هاء السكت بإغلاق المقطع الأخير من الكلمة الموقوف عليها ، وتكون « أمارة على أن الحنجرة قد لفظت آخر أصواتها في نهاية العملية الكلامية »[2] .

---

(١) ٣٢٨/٢ الخصائص لابن جنى . وانظر ٣١٨/٢ ، ٣١٩ منه أيضا

(٢) ص ٨٦ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث

وقد نلحظ أن للهاء وظيفة صرفية فى بعض المواقع إلى جانب وظيفتها الصوتية السابقة ، فنجدها تفصل بين المذكر والمؤنث فى نحو أعطيتك وأكرمتك ، فتلحق كاف الضمير المفتوحة لتؤكد للسامع أنها للمذكر ، وهؤلاء العرب الذين يفعلون ذلك أرادوا الفصل[1] بين المذكر والمؤنث فى الوقف على غراره فى الوصل ، فإذا كانت الحركة هى الفاصلة فى الوصل حيث تكون مفتوحة مع المذكر ومكسورة مع المؤنث ، فإن الهاء تفصل بين الجنسين فى الوقف ، ومن غير المستبعد عندى أن يكون هؤلاء هم انفسهم الذين يلحقون الكاف التى للمؤنث شينا أو سينا فى الوقف ، فيقولون مررت بكشْ أو بكسْ ، وأعطيتكشْ أو أعطيتكسْ[2] ، خاصة وأن الهاء تناظر الشين والسين فى صفة الهمس ، وفى الموقع ، وفى وظيفة إغلاق المقطع وبيان الحركة غير الإعرابية ،وكل ماهنالك من فرق هو أن الهاء تكون لبيان التذكير وتأكيده ، بينما الشين والسين يكونان لبيان التأنيث وتأكيده .

وإلى جانب الوظيفة الصوتية أيضا تستخدم الهاء كأداة للتخلص من التقاء الساكنين ، وذلك فى كل موضع يكون الحرف الذى قبلها مسبوقا بصامت ساكن كما فى الأمثلة الأخيرة من الحالة السابقة ، إذ لو لم يوقف عليها بالهاء لكان الوقف بالسكون ، وحينئذ يلتقى ساكنان : الساكن

---

(١) ينظر ٩/٨٥ شرح المفصل لابن يعيش

(٢) ينظر ٩/٤٩ » » »

الوقوف عليه والساكن الذى قبله، «وعدم التقائهما أولى وإن كان ذلك مغتفرا فى الوقف »(١) .

هذا وفى بعض الأحيان يكون وجودها ضرورة سياقية ، وعنصرا من عناصر الجمال فى النص ، نلمح ذلك من التأمل فى موقع هاء السكت فى الآية قبل الأخيرة من بين الآيات : « فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ماهيه . نار حامية . »(٢) ، فهاء السكت فى قوله (ماهيه) « عدلت مقاطع الفواصل فى هذه السورة وكان للحاقها فى هذا الموضع تأثير عظيم فى الفصاحة » (٣) أى أنها تؤدى إلى جانب وظيفتها الصوتيـة وظيفة سياقية وهى تحقيق التجانس والازدواج بين فواصل الآيات المذكورة فى حال الوقف ، وذلك يبرز ما فى الآيات من الموسيقى القرآنية ، ويحقق لونا من الانسجام الصوتى بين أجزاء النص .

وخلاصة القول فى ذلك الوقف بهاء السكت يعد ظاهرة صوتية فى المقـام الأول ، وقد يكون إلى جانب ذلك ظاهرة صرفية أو نحوية أو سياقية .

والوقف بالهاء على ذلك النحو وردت به القراءات القرآنية ، فالقراء

---

(١) ينظر ٢/٢٩٨ شرح الشافية للرضى

(٢) القارعة من ٦ : ١١

(٣) ١/٦١ البرهان فى علوم القرآن

السبعة لم يختلفوا فى إثبات(١) الهاء فى الوقف فى «لم يتسنه»(٢) «اقتده»(٣) «كتابيه»(٤) «حسابيه»(٥) «ماليه»(٦) «سلطانيه»(٧) «ماهيه»(٨)، ولا يشك فى أن الحجازيين وغيرهم كانوا يقفون بتلك الهاء إذا ماوقفوا على الكلمات القرآنية السابقة، وكذلك أثبتت الروايات التى حفلت بها كتب التراث أن الوقوف بهاء السكت كان شائعا فى لهجات البدو أكثر من غيرهم، فقد روى أن من العرب من كان يقول فى الوقف على ضمير المتكلم (أنا) بإثبات الألف، وهؤلاء هم التميميون والحجازيون كما أسلفنا، ومنهم من يقول إذا وقف (أنَهْ)، قال البغدادى(٩) : وهى لغة جيدة، وهى فى عليا تميم وسفلى قيس، وقال الرضى : وبعض طىء يقف عليه بالهاء مكان الألف، فيقول : (أنَهْ) وهو قليل، قال

(١) ٢٧٩/٢ الحجة فى علل القراءات السبع
(٢) البقرة ٢٥٩
(٣) الأنعام ٩٠
(٤) الحاقة ١٩
(٥) الحاقة ٢٠، ٢٦
(٦) الحاقة ٢٨
(٧) الحاقة ٢٩
(٨) القارعة ١٠
(٩) خزانة الأدب ٤٩٢/٤

حاتم : « هكذا فزدى أنَهْ »[١] . وقد روى أبو زيد الأنصارى (ت ٢١٥ هـ) شيئا من ذلك عن أهل العالية وبنى نمير ، قال : « وسمعت أعرابيا من أهل العالية يقول : (هو لَكَهْ) و (عليكَهْ) ، يريد : (هو لَكَ) و (عليكَ) ويقول : (جعل الله البركة فى دارِكَهْ) يفعل هذا فى الوقف ويلقيها فى الإدراج . وسمعت نميريا يقول : (ماأحسن وجهكَهْ) فى الوقف ، و (ماأكرم حسبَكَهْ) فى الوقف ، ويطرحها فى الإدراج . وكذلك سمع من أهل العالية وبنى عامر ومن الحجازيين أنهم يقولون . (فى دارِكَهْ) يريدون فى دارِكَ » [٢] ، هكذا نجدهم يزيدون هاء السكت فى جميع ذلك لأن الوقف يحتاج إلى بيان ، فإذا وصلوا حذفوا تلك الهاء ؛ لأن الحرف الذى يلى السكاف يوضح الحركة التى عليها فى الوصل .

هذا ولا تزال هذه الظاهرة مستمرة فى لهجات أهل اليمن ، إذ يقولون : لِمَهْ ؟ ويريدون لماذا ؟ ويقولون : علامَهْ ؟ ويريدون على ماذا ؟ وهِنَّهْ ويريدون : هُنَّ [٣] . ويقول الناس فى مصر فى الجواب الذى بمعنى نعم :

---

(١) ٢٩٤/٢ شرح الشافية للرضى ، ٨٤/٩ شرح المفصل

(٢) ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٤٧٢ النوادر فى اللغة . ط بيروت

(٣) ٣٥٠ اللهجات فى الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ، وهو منقول من ٦٦ ، ٦٧ لهجات اليمن قديما وحديثا لأحمد شرف الدين ، ط ١٩٧٠ م

« إيوَهْ » أو « أيوَهْ » ، والأصل فى ذلك « إىْ » حرف جواب بمعنى نعم ، إلا أنهم يصلونه بواو القسم فيقولون « إيوَ » ويزيد (١) الناس عليه هاء السكت ؛ لإبراز القسم المؤكد لتصديق المتكلم ، وذلك عن طريق بيان الحركة التى على الواو .

(١) ص ٤٣ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ط ١٩٥٢م

الفصل العاشر

الوقف على المنقوص

أولا : المنقوص المنون :

إذا وقفنا على الاسم المنقوص وكان منونا ، فإما أن يكون منصوبا أو مرفوعا أو مجرورا ، فإذا كان منصوبا فإنه يأخذ حكم الصحيح المنون المنصوب ، فكما يقول المتكلمون باللغة النموذجية (رأيت زيدا) ، يقولون أيضا (رأيت قاضيا) بحذف التنوين والتعويض عنه بالحركة الإعرابية لتصير فتحة طويلة كما سبق أن ذكرنا عند الحديث على الصحيح الآخر ، وبذلك وردت القراءة القرآنية فى الوقف على الآية : « ربنا إننا سمعنا مناديا »[1] .

وإذا كان مرفوعا أو مجرورا فقد ذكر القدماء فى الوقف عليه طريقتان :

(الأولى) : حذف الياء فى الوقف ، فيقال : هذا قاضْ ، ومررت بقاضْ ، وهذه هى اللغة الفصحى الراجحة التى نصها سيبويه « بأنها الكلام الجيد الأكثر » (٢) ، وعلة الحذف عند القدماء هى التقاء الياء ساكنة بعد حذف الحركة الإعرابية مع التنوين المقدر ، قال الرضى « فالأكثر حذف الياء ؛ لأن حذف التنوين عارض ، فكأنه ثابت ، وتقديره ها هنا أولى

---

(١) آل عمران ١٩٣

(٢) ٤/١٨٣ الكتاب

لئلا تعود الياء فيكون حال الوقف ظاهر الثقل » (١) ، ويقلل من قيمة هذا الرأى كون الثقل المزعوم افتراضيـــا ، لاستحالة الجمع بين الوقف والتنوين .

هذا ويمكن التعليل لتلك الطريقة فى نظر علم اللغة الحديث بأن المنقوص المنون مرفوعا كان أو مجروراً عومل معاملة الصحيح، فأسقط منه التنوين والحركة الإعرابية ، « بيد أنه بإسقاط التنوين والحركة السابقة له ينشأ مزدوج هابط » (٢) ، هو عبارة عن الياء الساكنة المسبوقة بالكسرة ، والمزدوج الهابط مرفوض (٣) فى اللغة العربية ، ولذا تخلص منه أصحاب هذه اللغة بحذفه نهائيا ؛ لأن الوقف موضع حذف وتغيير ، وهو محل استراحة أيضا ، ولذا كانت هذه اللغة جديرة بما وصفها به سيبويه من أنها الكلام الجيد الأكثر .

(الثانية) إثبات الياء فى الوقف ، فيقال : هذا قاضى ، ومررت بقاضى وهذه لغة قوم من العرب ، قال الرضى « وحكى أبو الخطاب ويونس عن الموثوق بعربيتهم رد الياء اعتدادا بزوال التنوين » (٤) ، أى أن الياء كانت قد حذفت فى الوصل لما التقت ساكنة ـ بعد حذف حركتها

---

(١) ٢٠١/٢ شرح الشافية
(٢) ص ٧١ حوليات كلية الآداب ، بجامعة الكويت . الحولية العاشرة
(٣) ص ٧١ حوليات كلية الآداب
(٤) ٢٠١/٢ شرح الشافية

استثقالا — مع التنوين ، أما فى حال الوقف فلا يوجد تنوين ، ولهذا ردت الياء ؛ « لأنهم لم يضطروا هاهنا إلى مثل ما اضطروا إليه فى الوصل من الاستثقال » (١) .

ويمكن تفسير ذلك بأن أصحاب هذه الطريقة لم يحذفوا نهائيا المزدوج الهابط الذى تشكل على إثر سقوط التنوين والحركة السابقة عليه من أجل الوقف ، وإنما خالفوا(٢) بين عنصريه عن طريق إسقاط الصامت (أى الياء الساكنة) ، ومد الحركة السابقة عليه تعويضا ، وبذلك يصير الوقف بالياء اللينة فى حالتى الرفع والجر ، فيقال : هذا قاضِى ، ومررت بقاضِى ؛ ونظرا إلى أن الكسرة الطويلة ترسم فى الكتابة ياء ، فقد ظن القدماء أنه بعد إسقاط التنوين يرد للاسم ما حذف منه .

ثانيا : المنقوص غير المنون :

إذا وقفنا على الاسم المنقوص ولم يكن منونا ، فإما أن يكون منصوبا أو مرفوعا أو مجرورا ، فإن كان منصوبا نحو (رأيت القاضىَ وجوارىَ) فلا خلاف « فى أنه لا يجوز حذف يائه ، بل يجب إسكانه . . قال سيبويه : إنما لم تحذف الياء ، لأنها إذا تحركت قويت كالحروف الصحيحة » (٣) ، وهذا النص صريح فى أنه يعامل معاملة الصحيح غير المنون ، فيوصل بياء

---

(١) ١٨٢/٤ الكتاب

(٢) ص ٧٢ حوليات كلية الآداب « مع بعض تصرف »

(٣) ٣٠٠/٢ شرح الشافية ، ويقارن مع ١٨٤/٤ الكتاب

مفتوحة ، وقد احتملت الفتحة بعد الياء لخفتها في النطق وعدم الكلفة في الانتقال من الياء إلى الفتحة بخلاف الانتقال منها إلى الكسرة أو الضمة أما في الوقف فتحذف الفتحة ، وينتج من الياء والكسرة السابقة عليها صوت لين طويل صالح للوقف عليه .

أما إن كان مرفوعا أو مجرورا نحو هذا القاضي ، ومررت بالقاضي ، فيجوز في الوقف عليه وجهان ، الأول : بقاء الياء في الوقف وهو الأكثر ، والثاني : حذف الياء في الوقف لكونه محل استراحة وموضع تخفيف ، وهو لغة لبعض العرب[1] .

ويمكننا أن نفسر بقاء الياء في حالة الرفع بأنها قد وقعت بين الكسرة والضمة في « هذا القاضيُ » فاجتمعت ثلاثة أشياء شبه متجانسة ، وهي الياء شبه الصائت ، والكسرة القصيرة المجانسة له والسابقة عليه ، والصائت القصير المغاير والمتأخر وهو الضمة ، وبذلك يكون لدينا تنافر صوتي تخلصت منه اللغة العربية بحذف الصائت القصير المغاير ، ثم تحول الصائت المجانس مع شبه الصائت إلى صوت لين طويل وهو الياء في تعبير القدماء .

وفي حالة الجر تكون الياء في (مررت بالقاضيِ) قد وقعت بين كسرتين أي اجتمعت الياء وهي شبه صائت مع صائتين قصيرين من جنسها ، أحدهما يسبقها ، والآخر يتبعها ، وهذه ثلاثة أشياء متجانسة أدى وجودها

---

(١) السابق من شرح الشافية ، ٢/٣٢٢ المناهج الكافية

مجتمعة إلى التخلص من الصائت الأخير بحذفه ، ثم تحولت الكسرة الأولى مع شبه الصائت إلى صوت لين طويل .

وهذان التغييران حدثا فى حال الوصل للعلل السابقة ، ثم بقيا فى حال الوقف ، لأن الحذف والتغيير به أولى لكونه موضع استراحة ، وهذا معنى قول سيبويه « فإذا لم يكن فى موضع تنوين فإن البيان أجود فى الوقف ، وذلك قولك : هـذا القاضى ، وهذا العمى ؛ لأنها ثابتة فى الوصل »(١) .

وإثبات الياء فى الوصل والوقف يمثل لغة الحجازيين ، وبها قرأ ابن كثير وهشام ويعقوب(٢) .

أما الوجه الثانى فيمكن تفسيره بأنه على لغة من يحذفون الياء الأخيرة ويكتفون بالكسرة السابقة عليها فى الوصل . أى يحولون اللين الطويل الذى انتهت إليه اللغة الحجازية إلى لين قصير، فالمتكلم على لغة هؤلاء يميل إلى التوفير من جهده ، فيبدل من الحركة الطويلة التى ترهق نسبيا جهاز نطقه حركة قصيرة من جنسها وأخف منها نطقا ، وربما كان الباعث على ذلك وقوع النبر على المقطع الذى قبل الأخير وعدم وقوعه على الأخير ؛ ولذا تحولت كسرة هذا الأخير الطويلة (الياء الممدودة) إلى كسرة قصيرة فى الوصل من أجل التخفيف والاقتصاد فى الجهـد العضلى الذى يبذله الناطق.

---

(١) ١٨٣/٤ الكتاب

(٢) ١١/٣ إتحاف فضلاء البشر

فإذا أراد المتكلم الوقف حذف الكسرة القصيرة ، وصارت إلى الوضع الأخير ، فقال . « هـذا القاضْ » ، ومررت بالقاضْ » بسكون الضاد فى الوقف ، وهذا الأمر جد طبيعى ، لأن التخفيف وتوفير الجهد إذا كان من طبيعتهم فى حال الوصل ، كان أليق بهم وكانوا أكثر احتياجا إليه فى حال الوقف ، لأنه موضع استراحة ، ومحل تخفيف وحذف وتغيير .

وقد نقل أبو حيان(١) فى تفسيره عن الزمخشرى أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير فى لغة هذيل ، ولا فرق بين الياء التى فى آخر الفعل الناقص والتى فى آخر المنقوص ، وقد وردت القراءة القرآنية(٢) بتلك اللهجة ، فكان ابن ذكوان وعاصم وخلف يحذفون الياء فى الوصل والوقف تخفيفا وعليها جاءت قراءة ابن مسعود (الزانية والزان) بغير ياء(٣) ، وكذلك حذف آخر الفعل المضارع المعتل لغير جازم ورسم بدون الياء فى قوله تعالى « يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه » (٤) وقوله « ذلك ما كنا نبغ » (٥) وذلك للدلالة على لغة هذيل(٦) :

---

(١) ٥/٢٦١ ، ٢٦٢ البحر المحيط .
(٢) ص ١١٣ إتحاف فضلاء البشر
(٣) ص ١٠٠ شواذ القرآن لابن خالويه ، وسورة النور ٢
(٤) هود ١٠٥
(٥) الكهف ٦٤
(٦) ٩٧ رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د. عبدالحى الفرماوى

ومن أجل ذلك كله لا نسلم بما ذهب إليه المستشرق هنرى فليش (١) من أن تحويل الكسرة الطويلة إلى القصيرة كان شائعا عند قبيلة قريش وخاصا بالوقف ، لأن الحجازيين — خلافا لما ذهب إليه البعض (٢) — كانوا ينطقون بالصيغة كاملة وافية لا حذف فيها ولا حيف ، وذلك يتفق مع ما يميلون إليه من الوضوح فى الكلام والتأنى فى النطق وإعطاء كل صوت حقه من الأداء ، ولذا لم يكن الأستاذ براجشتراسر على صواب حين اتخذ من رسم المصحف لبعض الكلمات القرآنية بحذف الياء دليلا على « أن الكسرة الممدودة الانتهائية كانت تقصر فى لهجة الحجاز فى كثير من الحالات » (٣) .

أما قبيلة هذيل فهى إحدى القبائل البدوية التى اشتهرت بالسرعة فى الأداء ، وعدم التأنى فى النطق وقلة الحرص على تجويد الأصوات وتحسينها وهذا من شأنه أن يؤدى إلى إسقاط بعض الأصوات أو تقصيرها لاسيما من النهايات ، وذلك يكون غالبا من أجل التخفيف وتحقيق الراحة وتوفير الجهد .

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

دكتور / أحمد طه سلطان

---

(١) ص ٥٩ قضايا لغوية فى ضوء الألسنية د . عبد الفتاح الزين
(٢) ينظر ١٢٩ ، ٢٢٠ من أسرار اللغة
(٣) ص ٦٨ التطور النحوى للغة العربية

المصادر والمراجع

١ ـ ابراز المعانى من حرز الامانى فى القــراءات السبع للامــام الشاطبى ، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ـ مطبعة مصطفى الحلبى بمصر ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ٠

٢ ـ أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ـ د٠ عبد الغفار هلال ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

٣ ـ أثر القراءات فى الاصوات والنحــو العربى « أبو عمــرو بن العلاء » تاليف د٠ عبد الصبور شــاهين ـ ط ١٩٨٧ م مطبعــة المدنى بالقاهرة ٠

٤ ـ اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربع عشر ـ البنا الدمياطى ، تصحيح على محمد الضباع ، مصور فى بيروت عن ط ١٣٥٩ هـ٠

٥ ـ الاتقان فى علوم القرآن ، جلال الدين السيوطى ، ط الرابعــة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م مطبعة مصطفى الحلبى بمصر ٠

٦ ـ احياء النحو ـ ابراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التاليف والترجمــة والنشر ١٩٣٧ م ٠

٧ ـ أخبار التراث العربى ((نشرة يصدرها معهد المخطوطات)، العدد ٣٦ مارس وابريل ١٩٨٨ م ٠

٨ ـ الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ط الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

٩ ـ الاصوات اللغــوية ، د٠ ابراهيم انيس ط الرابعة ١٩٧١ م ، الانجــلو المصرية ٠

١٠ ـ الامالى الشجرية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت بدون تاريخ ٠

١١ ـ البحر المحيط لابى حيان ، ط دار الفكــر بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ٠

١٢ ـ بحوث ومقالات فى اللغة ، د٠ رمضان عبد التــواب ، ط أولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م ـ مطبعة المدنى بالقاهرة ٠

١٣ ـ البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ـ بيروت ١٤٠٨ هـ ٠

١٤ ـ بغية الايضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعال الصعيدي ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة ٠

١٥ ـ تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي ، د٠ فوزي الشايب ـ حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت ، الحولية ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م ٠

١٦ ـ التأنيث في اللغة العربية ، د٠ ابراهيم بركات ط أولى ١٩٨٨م المنصورة ٠

١٧ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدى ط دار الفكر للطباعة والنشر ٠

١٨ ـ التجويد والاصوات ، د٠ ابراهيم نجا ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٧٢ م ٠

١٩ ـ التجويد وعلوم القرآن ، عبد البديع صقر ـ ط السادسة ، دار غريب بالقاهرة ٠

٢٠ ـ تحبير التيسير في قراءات الائمة العشرة ، لابن الجزري ، تحقيق عبد الفتاح القاضي ومحمد قمحاوي ط أولى ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م حلب ٠

٢١ ـ التطور النحوي للغة العربية ، براجستراسر ، اخراج د٠ رمضان عبد التواب ط ١٩٨٢ م ـ ١٤٠٢ هـ مطبعة المجد بالقاهرة ٠

٢٢ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ط الرابعة دار المعارف بمصر ٠

٢٣ ـ حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ، ط ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م الحلبي بمصر ٠

٢٤ ـ حاشية الصبان على الاشمونى ، دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي بمصر ٠

٢٥ ـ الحجة فى علل القراءات السبع ، لابى على الفارسى ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، ط ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٦ ـ الحجة فى القراءات السبع ، لابن خالويه ، تحقيق د. عبد العال مكرم ، ط الثانية دار الشروق ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٢٧ ـ خزانة الادب ، للبغدادى ط القاهرة ١٩٨١ م ، ط بولاق .

٢٨ ـ الخصائص لابن جنى ، تحقيق محمد على النجار ، ط الثانية بيروت .

٢٩ ـ دراسة اللهجات العربية القـــديمة ، داود سلوم ، ط الاولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م عالم الكتب بيروت .

٣٠ ـ دراسات فى فقه اللغة ، د. صبحى الصالح ، ط العاشرة ١٩٨٣م دار العلم للملايين بيروت .

٣١ ـ دراسات فى التجويد والاصوات اللغـــوية ، د. عبد الحميد أبو سكين ، مطبعة الامانة ١٩٨٣ م بالقاهرة .

٣٢ ـ دراسات فى اللغة العربية ، د. خليل نامى ، ط ١٩٧٤ م دار المعارف بمصر .

٣٣ ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ، د. حسام النعيمى ، ط بيروت ١٩٨٠ م ـ دار الطليعة للطباعة .

٣٤ ـ دراسة الصوت اللغوى د. احمد مختار عمر ، ط اولى ١٩٧٦ م مطابع سجل العرب .

٣٥ ـ دروس فى علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، ترجمة صالح القرمادى ط تونس ١٩٦٦ م .

٣٦ ـ رسالة الملائكة ، لابى العلاء المعرى ، تحقيــق محمد ســـليم الجندى ، المطبعة التجارية ـ بيروت .

٣٧ ـ رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ، د. عبد الحى الفرماوى ، ط اولى ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م مطبعة حسان .

٣٨ ـ السجل العلمى للندوة العـــالمية الاولى لتعليم العربية لغير

الناطقين بها ، ط الرياض ١٩٨٠ م .

٣٩ ــ سر صناعة الاعراب لابن جنى ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط مصطفى الحلبى بمصر .

٤٠ ــ ظاهرة التنوين فى اللغة العربية ، د. عوض المرسى جهاوى ، ط أولى ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٢ م .

٤١ ــ شرح الاشمونى ــ دار احياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى وشركاه بمصر .

٤٢ ــ شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهرى ، دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبى وشركاه بمصر .

٤٣ ــ شرح شافية ابن الحاجب للرضى ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، ط ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م بيروت لبنان .

٤٤ ــ شرح شواهد الايضاح ، لابن برى ، تحقيق د. عيد درويش ، ط ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

٤٥ ــ شرح شواهد الكتاب ، للاعلام الشنتمرى بهامش الكتاب لسيبويه ط بولاق .

٤٦ ــ شرح المفصل لابن يعيش ، مكتبة المتنبى بالقاهرة .

٤٧ ــ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، تصحيح د. خفاجى ، ط أولى ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م القاهرة .

٤٨ ــ الشوارد فى اللغة للصاغانى ، تحقيق عدنان الدورى ، ط المجمع العلمى العراقى ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .

٤٩ ــ العربية الفصحى : نحو بناء لغوى جديد ، هنرى فليش ، تحقيق د. عبد الصبور شاهين ، ط أولى ١٩٦٦ م .

٥٠ ــ علم الاصوات ــ تاليف برتيل مالمبرج ، تعريب د. عبد الصبور شاهين ، ط ١٩٨٧ م القاهرة .

٥١ ــ علم اللغة العام ــ القسم الثانى : الاصوات ، د. كمال بشر ، ط دار المعارف بمصر .

٥٢ ــ علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، د. محمود السعران ، ط ١٩٦٢ م دار المعارف بمصر .

٥٣ ـ علم اللغة ، د. فاطمة محجوب ، ط ١٩٧٦ م بالقاهرة .
٥٤ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء ، لابن الجزرى ، مطبعة السعادة ١٩٣٢ م القاهرة .
٥٥ ـ فى اللهجات العربية ، د. ابراهيم أنيس ، ط الخامسة ، الانجلو المصرية .
٥٦ ـ القاموس المحيط ، للفيروزابادى ج ١ ط ١٣٣٠ هـ ، ج ٢ : ٣ ط ١٣٥٢ هـ ، ج ٤ ط ١٣٥٤ م .
٥٧ ـ القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، د. عبد الصبور شاهين ، ط ١٩٦٦ م دار القلم .
٥٨ ـ قصة الكتابة العربية ، ابراهيم جمعة ، ط الثانية دار المعارف بمصر .
٥٩ ـ قضايا لغوية فى ضوء الالسنية ، د. عبد الفتاح الزين ، ط أولى ١٩٨٧ م .
٦٠ ـ القواعد والاشارات فى أصول القراءات ، احمد بن عمر الحموى ـ تحقيق عبد الكريم بكار ، ط أولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م دمشق .
٦١ ـ الكامل فى اللغة والأدب للمبرد ـ دار الفكر للطباعة والنشر .
٦٢ ـ كتاب الابدال ليعقوب بن السكيت ، تقديم د. حسين محمد شرف ط ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية .
٦٣ ـ كتاب أسرار العربية ، كمال الدين أبى البركات الانبارى ، ط دمشق ١٩٥٧ م ، و ط ليدن ١٨٨ م .
٦٤ ـ كتاب التمهيد فى عالم التجويد ، لابن الجزرى ط أولى ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م .
٦٥ ـ كتاب التعريفات لعلى بن محمد الشريف الجرجانى ـ دار صادر بيروت .
٦٦ ـ الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٦٧ - كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د. شوقي ضيف ط الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م دار المعارف بمصر .

٦٨ - كتاب فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٦٩ - كتاب المقنع في رسم مصاحف الامصار ومعه كتاب النقط لابي عمرو الداني - تحقيق محمد قمحاوي ط ١٩٧٨ م القاهرة .

٧٠ -

٧١ - لسان العرب لابن منظور ، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف المصرية - مرتب على طريقة الابجدية العادية .

٧٢ - اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ط الثانية ١٩٧٩ م مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧٣ - لغة تميم دراسة تاريخية وصفية ، د. ضاحي عبد الباقي ط القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية .

٧٤ - لهجات العرب - احمد تيمور ، ط ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧٥ - اللهجات العربية في التراث ، د. احمد علم الجندي ، طبعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م الدار العربية للكتاب (ليبيا وتونس)

٧٦ - اللهجات في الكتاب لسيبويه : أصواتا وبنية ، صالحة راشد غنيم ، ط أولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م السعودية .

٧٧ - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٣١ صفر ١٣٩٣ هـ مارس ١٩٧٣ م .

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٣٤ شوال ١٣٩٤ هـ - - نوفمبر ١٩٧٤ م .

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٣٦ ذو القعدة ١٣٩٥ هـ نوفمبر ١٩٧٥ م .

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٣٧ جماد الاولى ١٣٩٦ هـ

- مايو ١٩٧٦ م .
مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٣٨ ذو القعدة ١٣٩٦ هـ
- نوفمبر ١٩٧٦ م .
مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٣٩ جمادى الاولى ١٣٩٧
- مايو ١٩٧٧ م .
٧٨ - المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٦ هـ القاهرة .
٧٩ - المختار من كتاب علم الصوتيات بن عبد الله ربيع محمد ط ١٤٠٤ هـ القاهرة .
٨٠ - المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، ط أولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م مطبعة المدني بالقاهرة
٨١ - المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين ، ط الثالثة مكتبة دار التراث .
٨٢ - المصباح المنير للفيومي ، المكتبة العلمية بيروت لبنان .
٨٣ - مصحف المدينة المنورة ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
٨٤ - معاني القرآن للفراء ، تحقيق محمد علي النجار واحمد نجاتي - ط ١٩٨٠ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٨٥ - معجم تيمور الكبير في الالفاظ العامية ، لاحمد تيمور ، تحقيق د. حسين نصار ، ط ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م الهيئة العامة للتاليف والنشر .
٨٦ - معجم مصطلحات النحو والصرف ، د. محمد عبادة ط دار المعارف بالقاهرة .
٨٧ - معجم مقاييس اللغة ، لاحمد بن فارس - ط الثانية ١٩٧٢ م مصطفى الحلبي بالقاهرة .
٨٨ - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ط الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٨٩ - المغنى فى تصريف الافعال ، الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة - ط أولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م دار العهد الجديد بالقاهرة .

٩٠ - المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ عضيمة ، ط ١٣٨٨ هـ بالقاهرة .

٩١ - المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتدا ، الشيخ زكريا الانصارى ، ط الثانية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م مصطفى الحلبى بالقـــاهرة .

٩٢ - مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان - ط ١٩٥٥ م مطبعة الرسالة بالقاهرة .

٩٣ - المناهج الكافية شرح الشافية (رسالة دكتوراه) تحقيق د. محمد ابراهيم عبد الله ، نوقشــت عام ١٩٨٤ م (بمكتبتى الخــاصة) .

٩٤ - منار الهدى فى بيان الوقف والإبتداء ، لأحمد بن عبد الكريم الاشمونى ، ط الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م مصطفى الحلبى بالقاهرة .

٩٥ - من أسرار اللغة ، د. ابراهيم أنيس - ط السادسة ١٩٧٨ م بالانجلو المصرية .

٩٦ - المنصف لابن جنى ، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م الحلبى بمصر .

٩٧ - من لغات العرب : لغة هذيل ، د. عبد الجواد الطيب - ط ١٩٨٥م القاهرة .

٩٨ - من وظائف الصوت اللغوى ، د. احمد كشك ، ط أولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٩٩ - النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٠٠ - النوادر فى اللغة لأبى زيد الانصارى ، ط بيروت ١٩٨٢ م .

١٠٢ - الهاء فى اللغة العربية د. احمد سليمان ياقوت ، ط اولى ١٩٨٩ م بالاسكندرية .

١٠٣ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية ، لسيوطى ، مصور عن الطبعة الاولى ١٣٢٧ هـ مكتبة الكليات الازهرية .

فهرست موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٨٨٠/١٩٩١


Bibliotheca Alexandrina
1132308